الاستثمار الأمثل وعوائده

تأليف

د/ عبد الله محمد بهجت

إيمان عبد اللطيف الكردي

توزيع

دار الخلفاء الراشدين

الإسكندرية ابو سليمان ش عمر
أمام مسجد الخلفاء الراشدين
٠١٠٦٧١٤٧٦٨ -
٠١٠٦٧١٤٧٦٨٣١٥١



الإسكندرية مصطفى كامل
بجوار مسجد الفتح الإسلامي
٠١٢٢٥٨٣٤٥٧٤ -
٠١٩٤٥٥٥١٥٧

الطبعة دار الخلفاء الراشدين

الاسكندرية أبو سليمان ش عمر

امام مسجد الخلفاء الراشدين

٠١٠٥٠١٣١٥١ ـ ٠١٠٦٧١٤٧٦٨

الإدارة : ٠١٠٥٠١٣١٥١ المبيعات: ٠١٥٢٠٠٠٤٦٤٦

الثالثة

١٤٣٢ هـ ـ ٢٠١١ م

رقم الإيداع: ٠٨٤٠ / ٢٢



المقدمة

الحمد لله الذي خلق الناس فلم يتركهم هملا، واستخلفهم في الأرض وخلق الموت والحياة ليبلوهم أيهم أحسن عملًا. وأنزل كتابه العظيم نورًا وهدىً وصرّف فيه للناس من كل شيء مثلًا. والصلاة والسلام على نبينا محمد أشرف الخلق الذين اصطفاهم الله أنبياء ورسلًا.

وبعد.. فلعل القارئ الكريم في طيّات هذه السطور يتوقع من متخصص في إدارة وتخطيط موارد المياه أن يتناول بالبحث والكتابة والاستقصاء مشكلة المياه في هذا القطر الحبيب من بلادنا الغالية، أو في غيره من بلاد المسلمين؛ ليضع استراتيجية مثلى في كيفية المحافظة على هذا المورد الهام واستثماره الاستثمار الأمثل، لأن الماء أساس الحياة كما قال -جل شأنه-: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأنبياء:٣٠].

أو لعله يظن أنني سوف أعرض عليه في هذا البحث أفضل أنواع الاستثمارات الموجودة في السوق المحلية والعالمية لتنمية رأس ماله والمحافظة عليه.

ولكن يا أخي الكريم إذا قلَّبت النظر في هذه الحياة؛ سوف تجد المشكلات وقد تعددت والقضايا وقد تنوعت، فهل من نظرة شاملة إلى الحياة بأسرها وحل مشكلاتها؛ إننا إذا أصلحنا أحوالنا مع الله وأدينا ما يجب علينا تجاه أوامره ونواهيه فإن جميع ما نعانيه سوف يحل بإذن الله.

ألم يقل -جلّ من قائل- حكاية عن نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح:١٠-١٢].

الاستثمار الأمثل وعوائده

إن جميع الحلول قد تجمعت في آية واحدة كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[الأعراف :٩٦].

ألا وإن الاستثمار الأمثل أيها القارئ الكريم، وأفضل أنواع الاستثمارات على الإطلاق هو التجارة مع الله؛ فما من نوع من أنواع الاستثمارات في العالم قاطبة يعطي أرباحًا فوق ١٠-٢٠%، ولكن الاستثمار مع الله تعالى يعطي على أدنى تقدير ١٠٠٠-٧٠٠٠٠% والله يضاعف لمن يشاء, واقرأ إن شئت:﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦١].

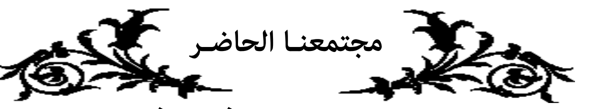
أخي الكريم..

قد يجذبك عنوان الكتاب فتظن أنك قد وجدت ضالتك، ثم تقرأ.. فإن لم تكن من أولئك الذين أنعم الله عليهم بالعقل الراجح وحسن الاتباع فإنك ربما تلقي بهذا الكتاب جانبًا فهل أنت فاعل؟. لا؛ بل أظنك أحرص من هذا.

وختامًا؛ أيها القارئ الكريم فإن هذا ما وفقني الله له فنشرته راجيًا به نفع إخوتي المسلمين، مبتغيًا به وجه الله، فإن أحسنت فمن الله، وإن أسأت فمن نفسي والشيطان، والله أسأل أن يهدينا ويوفقنا إلى ما فيه خيري الدنيا والآخرة، والحمد لله رب العالمين.

د. عبد الله بهجت

إدارة وتخطيط موارد المياه



مجتمعنا الحاضر

التائهون في غمرات الحياة... اللاهون في ملذاتها...

الذين تشعبت بهم الهموم... وتنوعت لديهم الأهداف...

واختلطت عليهم السبل...

فضاعوا في بيداء الحياة، وغرقوا في بحرها المتلاطم؛ فهذا قد صبَّ جل همّه في تجارته وضاع بين ردهات المصارف وعقود الصفقات، وهذا جعل كل همّه في وظيفته وانهمك في أعباء الوظيفة والمُرتّب والزيادات، وذلك قد بذل مُعظم وقته من أجل علمه الذي قد لا ينفع، فضاع بين جهد الأبحاث

وتحصيل الشهادات. أكثر هؤلاء.. في سكرة.. في غفلة.. في غياب. إن لم يكن عملهم هذا استثمار للآخرة.

إنني لا أتحدث عن أولئك الذين صرفوا جُلّ همومهم وأضاعوا كل أوقاتهم في الملاعب... في الغناء... في الأسواق... في المعاكسات... في الفضائيات... في لعب (البلوت وغيره) نسأل الله العافية، فهؤلاء لا شك في خسارتهم إن لم يتداركهم الله برحمة، بل أعني كثيرًا ممن يفترض فيهم الالتزام، ممن طغى عليهم هذا الانهماك الشديد في العمل والتجارة فذهب بهم السيل وجرفهم في دوامة الحياة. .ألهاهم التكاثر في المال والشهادات والمناصب.

هؤلاء يخادعون أنفسهم ويبررون التهاءهم في الدنيا بمبررات طالما ترددت على الألسن.. يقولون: إن العمل والاكتساب عبادة.. طلب العلم فريضة.. اطلب العلم من المهد إلى اللحد.. فتجده

يفني عمره في طلب علم قد لا ينفع أو مالٍ زائد «عن حاجته أو منصب لا يريد به وجه الله.

لا شك أن العمل وطلب العلم قد يتحول إلى عبادة.. ولكن متى؟ وهل يُتعبد الله باكتناز الأموال؟ أم يُتعبد بالبحث والاستقصاء في عادات الشعوب أو أصل الحضارات البائدة، والقبائل المنقرضة وأصل بعض اللهجات في إحدى اللغات، أو في الأشعار والمسرحيات لدى شكسبير أو غيره، ونيل شهادات عليا في ذلك أو البحث وراء البحث في مواضيع لن نسأل عنها يوم القيامة ولن يضر الجهل بها شيئًا؟

أم هل يُتعبد الله في الجري وراء المباحات على حساب الواجبات؟ إذن لا بد أن هناك حدًّا.. حدًّا للاكتفاء، وحدًّا لسد الحاجة.

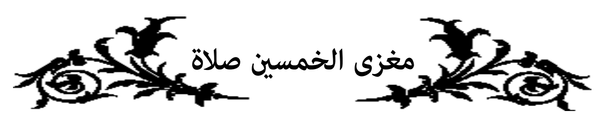
قال ابن القيم ﵀ في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾: «أي: شغلكم على وجه لا تعذرون فيه، وأعرض الله -سبحانه- عن ذكر المتكاثر به إرادة لإطلاقه وعمومه، وأن كل ما يكاثر به العبد غيره سوى طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ وما يعود عليه بنفع معاده، فهو داخل في هذا التكاثر؛ فالتكاثر في كل شيء من مال أو جاه أو رياسة أو نسوة أو حديث أو علم، ولاسيما إذا لم يحتج إليه، والتكاثر في الكتب والتصانيف وكثرة المسائل وتفريعها وتوليدها...»(١) اهـ.

ومن المعلوم أن الأصل في خلق البشر أولًا وأخيرًا هو أن يعبدوا الله وحده، ولست أشك في أن أحدًا من المسلمين يعارض ما أقول البتّة، ولكن تسمع ما يقول الناس ثم ترى ما يفعلون فلا تجد هناك توافقًا ولا تجد انسجامًا إلا ما رحم ربي.

---

(١) «الفوائد» لابن قيم الجوزية (ص:٥٤-٥٥).

إن هذا البحث يطرح مناقشة أحسبها موضوعيّة، بشيء من التأنّي، يناقش فيها وضعنا الديني في عصرٍ تكالبت فيه علينا المادة، وتداعت فيه علينا الأمم، وكثر اللبس فيه بين العمل للدنيا والعمل للآخرة. وهو دعوة لمحاسبة النفس، ومراجعة الحلول والنتائج، وأبدأ فيه بنفسي ثم أدعو القراء الكرام، لعل الله أن يجلوَ عن قلوبنا ما ران عليها، وعن بصائرنا ما شابها، فنبصر معًا طريق الحق والرشاد.



مغزى الخمسين صلاة

لقد فرض الله سبحانه على أمة محمد ﷺ أول ما فرض من الصلاة لدى معراجه ﷺ خمسين صلاة، فهل تساءلنا ما الحكمة من ذكر الحديث بأن الله قد فرض خمسين صلاة ثم أعفانا منها؟

في اعتقادي -والله أعلم- أنه سبحانه فرض ذلك وهو يعلم أحوالنا وأنه لا طاقة لنا بذلك؛ فلو أننا نصلي في اليوم خمسين صلاة، واليوم أربع وعشرين ساعة فستكون صلاة كل نصف ساعة من الزمن، ولو حذفنا من الأربع والعشرين ساعة، ست ساعات للنوم فستكون صلاة كل ثلث ساعة تقريبًا، وما دام الرجل يصلي في المسجد فإنه سيجد نفسه لا يستطيع مفارقته لتقارب أوقات الصلاة، وستجد المرأة نفسها على مصلاها لا تفارقه إلا لتعود إليه، فأين متطلبات الحياة وأين مسؤولياتها والتزاماتها؟

إذن ما مغزى فرضها ثم ذكر إعفائنا منها وقصرها على خمس؟ إنها لم تذكر هكذا جزافًا، وتعالى الله سبحانه عن ذلك، فهو سبحانه الحكيم في أقواله وأفعاله، إن الحكمة الظاهرة -والله أعلم-: أن يُبيّن لعباده أنه لم يخلقهم في هذه الدنيا إلا لعبادته ؛ فافترض شيئًا منها وحبب في الاستزادة قدر المستطاع، فالحديث إذن يدل على الآتي:

١- التأكيد على الهدف الذي خلقنا من أجله وهو العبادة.

٢- بيان فضل الصلاة المفروضة على غيرها، واستحباب الإكثار منها نافلة، ومن جميع العبادات بحسب الاستطاعة.

٣- بيان رحمته سبحانه بعباده ومضاعفة أجر الصلوات الخمس إلى خمسين صلاة.

اتضح لنا أن الأصل في خلق الخلق هو العبادة، وأعني بالعبادة ؛ العبادة المحضة الخالصة لله،

لكن بما أن الله ﷻ قد خلقنا بشرًا ولم يخلقنا ملائكة، فإننا إذن لن نستطيع العبادة أربعًا وعشرين ساعة في اليوم ، فللبشر طاقات وقدرات محدودة ولهم متطلبات تقتضيها طبيعتهم البشرية لا بد لهم منها، فمن ذلك:

١- **متطلب بدني**: من مأكل ومشرب وراحة للبدن «**فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا**»[(١)].

---

(١) هو جزء من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، فإنه كان يصوم الدهر ويقوم الليل أبدًا، فلما أعلم النبي ﷺ، بذلك قال له: «**فَلاَ تَفْعَلْ، صُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ كُلَّ شَهْرٍ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ**». رواه البخاري (١٩٧٥) في «الصوم»، وزاد مسلم: «**وَإِنَّ لِوَلَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا**» في صحيحه (١١٥٩) في «الصيام».

٢- **متطلب اجتماعي**: القيام على أمور الأهل والأولاد ورعايتهم وصلة الأرحام وما إلى ذلك: «**إِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا**»، «**إِنَّ لِوَلَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا**»(١).

٣- **متطلب مالي**: ومنه السعي في طلب الرزق لاستيفاء الاحتياجات الأساسية من طعام وشراب وملبس ومسكن.

٤- **متطلب ديني**: وهو الفروض والواجبات المطلوبة من المسلم شرعًا، والتي نستطيع أن نسميها «الحد الأدنى للعبادة» إن صحّ التعبير.

كما أن هناك حدًا أعلى -لا يعتبر من المتطلبات- وهو مبنيٌّ على الوسع والطاقة بحسب الضوابط

---

(٢) صحيح : انظر التخريج السابق.

الشرعية؛ فلا يستطيع العبد مهما بلغ من العبادة أن يتعبّد الله بأكثر مما حدد له في الشرع، فلا يستطيع أن يصوم الدهر مثلًا، أو أن يصلي في أوقات النهي إلا بشروط، أو في حال الجنابة أو الحيض والنفاس للمرأة، ولا يسعه شرعًا أن يوصي بأكثر من ثلث ماله.

إن أداء المتطلبات الثلاث الأولى على وجهها الصحيح بدون إفراط ولا تفريط؛ سوف يتحول إلى عبادة، كما هو الحال في المتطلب الديني، ما دامت النية فيها ابتغاء وجه الله باستيفاء الحاجة البشرية التي لا بد منها وصرف النفس بها عن محارم الله للتفرغ للعبادة بنشاط، بما في ذلك شهوة الفم والفرج؛ فقد قال ﷺ: «**وَفِى بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ**»[(١)]، وقال: «**وَلَسْتَ بِنَافِقٍ نَفَقَةً تَبْتَغِى بِهَا وَجْهَ الله؛ إِلاَّ آجَرَكَ الله**

---

(١) رواه مسلم (١٠٠٦) «الزكاة»، وانظر شرح الإمام النووي عليه.

بِهَا، حَتَّى اللُّقْمَةَ تَجْعَلُهَا فِي فِيِّ امْرَأَتِكَ»(١).

ولابد بعد ذلك من تخصيص الوقت المتبقي بعد هذه المتطلبات للتفرغ للعبادة الحقة كالصلاة النافلة وقراءة القرآن والصيام والذكر وما إلى ذلك من الطاعات التي خلقنا الله ﷻ لكي نقيمها قال تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾[الذاريات:٥٦]، وقال: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ**﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

وعلى هذا تكون حياتنا كلها لله عبادة على الوجه التالي:

---

(٢) رواه البخاري (٣٩٣٦) «المناقب».

١- إخلاص النية لله في جميع الأعمال الدينية والدنيوية.

٢- تحقيق المتطلبات بدون إسراف.

٣- تخصيص الوقت المتبقي عن المتطلبات في الطاعات المختلفة والأعمال الصالحة وعدم الاسترسال في طلب المباحات الزائدة عن الحاجة.

وليس معنى ذلك التبتل والتعبد في صومعة بأعلى جبل ونبذ شهوات الدنيا كما قد يتوهم البعض، وليس معنى ذلك إجهاد النفس والانقطاع للعبادة الخالصة؛ فإن البشر يتفاوتون في أدائهم لهذه المتطلبات، كما أنهم يتفاوتون في حاجتهم إلى الوقت الكافي لأدائها؛ فمنهم العامل الذي يكدح ليل نهار لكي يوفر لنفسه وأهله لقمة العيش التي تكفيه بالكاد ليوم أو عدّة أيام، ومثل هذا لا يُلام في ذهاب جلّ وقته في العمل

طالما أنه يؤدي ما افترض الله عليه من عبادة، لأنه إنما يوفر لقمة العيش التي بدونها لا تستقيم له الحياة.

فانظر مثل هذا كم يتبقى له من وقت خارج هذه المتطلبات، ربما مقدار ركعتين خفيفتين يركعهما من الليل فيكون بذلك قد استغل وقته كله في العبادة.

ومنهم الموظف ذو العيال يعمل في الصباح على مكتبه ثم يعود فيتناول طعامه و يأخذ قسطًا من الراحة، ثم يلاعب أهله وأولاده -وهذا كما أسلفنا من المتطلبات- ويؤدي ما فُرض عليه من صلوات وإذا بمعظم وقته قد مضى ولم يتبق له إلا النزر اليسير فعليه بعد ذلك استغلاله في تعمير آخرته ورفع درجته.

ومن الناس من تأتيه الأموال بدون بذل جهد أو وقت فيكون ممن أنعم الله عليهم بالمال والفراغ وربما الصحة أيضًا، وهذه من أجلّ النعم التي اختصه الله بها وهو مُخيّر في إمضائها بحسب ذكائه

وكياسته.

فهو إما أن يطلب المزيد لدنياه باستثمار أمواله في المشاريع تلو المشاريع إلى ما لا نهاية حتى تعود أمواله مجرد أرقام في البنوك.

وإما أن يكتفي بقدر معين ويقنع بما تحصّل عليه -خاصة إذا كان ذلك كافٍ لمعيشته وأهله وأولاده برخاء- فينفق مما آتاه الله ويبذل ما تبقى من وقته في رضاه.

فالأول: مغبون وهو عبدٌ لماله، وكان ماله عليه نقمة.

والثاني: رابح وهو عبدٌ مقرب من الله، وكان ماله عليه نعمة.

وهل يتفاوت العباد في درجات الجنة إلا بأعمالهم، فهاتان مزيتان ميّز الله بهما بعض عباده، فخصهم بالمال الوفير والوقت المتسع لينظر ما هم صانعون فيهما، فإن هم استغلوا أموالهم وأوقاتهم في

الشهوات كانوا ممن قال الله فيهم: ﴿أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا﴾ [الأحقاف:٢٠]، فهؤلاء قدموا العاجل على الآجل، والفاني على الباقي فما أشد خسارتهم، لأنهم لم ينتفعوا بما آتاهم الله من نعم وما خصهم به من مزايا، فمثلهم كمثل الطفل يُعطى المال فيمزق بعضه وينفق بعضه في شراء الحلوى.

وخلاصة القول إن المال والوقت من خير النعم، إن استغلّهما العبد في نفع آخرته، وإلا فسيكونان عليه وبالًا وسببًا في نسيانه ربه وآخرته.

والمسلم مطالبٌ بأن يحرص على وقته أشد الحرص، فهو مسئول عنه، فعليه أن يحاول جاهدًا اختيار العمل الذي يوفر عليه المال والوقت والجهد قدر ما يستطيع لئلا يذهب وقته سدى، ويستنفد طاقته في عمل كان قادرًا على إيجاد أفضل منه.

وإنني أدعوك أخي القارئ لتُلقي نظرة سريعة على واقعنا اليوم؛ حيث طغى المطلب البدني

والمالي والاجتماعي على حياتنا، بل وحتى على المطلب الديني، حتى أصبحت هذه المتطلبات عوائق تعوقنا عن العبادة الأساس التي من أجلها خلقنا.

لقد ألهانا التكاثر في المال والشهادات والأولاد والمناصب، وقد حذرنا الله من ذلك فقال: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ**﴾ [المنافقون:٩]، وإنها لم تلهنا فحسب بل لقد أصبح بعضنا عبيدًا لها، عبيدًا للدنانير والدراهم، عبيدًا للمناصب، عبيدًا للشهادات، عبيدًا للشهوات من ملابس ومساكن ومراكب وغيرها, وقد بشر رسول الله ﷺ هؤلاء بالتعاسة؛ لأنهم يعيشون حياتهم لها، فحياتهم في شقاء وكدح من أجلها.

قال ﷺ: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلاَ**

انْتَقَشَ»(١) ، وفي رواية «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيصَةِ، تَعِسَ عَبْدُ الْقَطِيفَةِ، تَعِسَ فَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ**»، وَلَا دَنَاءَةَ أَعْظَمَ مِنْ عِبَادَةِ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ، وَلَا هِمَّةَ أَخَسَّ مِنْ هِمَّةٍ تَرْتَفِعُ بِثَوْبٍ جَدِيدٍ»(٢) .

وصدق القائل:

أطعت مطامعي فاستعبدتني * ولـو أني قنعت لكنت حُـــرًّا

وما تمادى المرء في ذلك وانشغل به إلا لمحبته له محبةً تفوق حبّه لخالقه أو لموافقته هواه.

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٤١٣٦) «الزهد»، وقال الألباني: «صحيح».
(٢) «أحكام القرآن» لابن العربي ولا أدري الزيادة من متن الحديث أم تعليق ابن العربي (٢٦٤/٤) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وإذا كان العبد مخلصًا له اجتباه ربه فيحيي قلبه، واجتذبه إليه فينصرف عنه ما يضادّ ذلك من السوء والفحشاء، ويخاف من حصول ضد ذلك؛ بخلاف القلب الذي لم يخلص لله، فإنه في طلب وإرادة وحب مطلق، فيهوى ما يسنح له ويتشبّث بما يهواه، كالغصن أي نسيم مرّ بعطفه أماله، فتارة تجتذبه الصور المحرمة وغير المحرمة، فيبقى أسيرًا عبدًا لمن لو اتخذه هو عبدًا له لكان ذلك عيبًا ونقصًا وذمًا، وتارة يجتذبه الشرف والرياسة فترضيه الكلمة وتغضبه الكلمة ويستعبده من يثني عليه...»[1].

وقد يعدد الأشياء المحبوبة من دون الله من حيث لا يعلم فتجده بالإضافة لما سبق يهيم بالكرة مثلًا، حتى إذا جاء وقت الصلاة لم يصلّ بل يُقلّب التلفاز بحثًا عن قناة أخرى يواصل معها الحدث،

(١) «الفتاوى الكبرى» لابن تيمية (١٩٦/٥) ط. دار المعرفة - بيروت.

فيكون بذلك قدّمها وفضلها على عبادة الله، فمن فضّل شيئًا على عبادة الله فهو عبدٌ لذلك الشيء.

قال ابن القيم ﷺ: «وأما الشرك في العبادة: فهو أسهل من هذا الشرك، وأخف أمرًا، فإنه يصدر ممن يعتقد أنه لا إله إلا الله، وأنه لا يضر ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع إلا الله، وأنه لا إله غيره، ولا رب سواه، ولكن لا يخلص لله في معاملته وعبوديته، بل يعمل لحظ نفسه تارة، ولطلب الدنيا تارة، ولطلب الرفعة والمنزلة والجاه عند الخلق تارة، فلله في عمله وسعيه نصيب، ولنفسه وحظه وهواه نصيب، وللشيطان نصيب، وللخلق نصيب, وهذا حال أكثر الناس، وهو الشرك الذي قال فيه النبي ﷺ فيما رواه ابن حبان في صحيحه: «**الشِّرْكَ في هذه الأمة أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ**»»[1].

«كما أن الاشتغال بفضول المباحات هو ضد الزهد المشروع، فإن اشتغل بها عن واجب أو

---

(١) «الجواب الكافي» لابن القيم (ص:١٥٤، ١٥٥).

اشتغل بفعل محرّم كان عاصيًا، وإلا كان منقوصًا عن درجة المقربين إلى درجة المقتصدين»[1].

فالاشتغال بفضول المباحات وإن لم يُلهِ عن واجب فإنه ينقص درجة العبد في الجنة، وأيّنا لا يريد الدرجات العلى؟ أم أننا نلتهي عنها بطلب الدرجات العلى من الدنيا ثم نتمنى على الله الأماني فنطلب أن نكون من المقربين في أعلى الجنان؟

وهل تعلم أخي الكريم الفرق بين درجات المقربين وما دونها من درجات أصحاب اليمين؟

هذه مقارنة سريعة وموجزة كي لا تكون تلك الدرجة هيّنة عليك فتزهد فيها وتقول -كما قال الضعفاء من طلاب الدنيا-: «أريد أن أضع قدمي في الجنة وحسبي».

---

(١) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية، (٢١/١٠).

أخي الكريم لا تكن همتك دونية فترضى بالقليل من الآخرة ولا ترضى إلا بالكثير من الدنيا؛ فقد قال ﷺ: «**فَإِذَا سَأَلْتُمُ الله فَسلوه الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ، وَأَعْلَى الجَنَّةِ، وفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ**» (١).

ويبدأ نعيم المقربين بعد الموت مباشرة، وهم الذين عناهم الله بقول: ﴿**ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ**﴾ [النحل:٣٢]، فهم طاهرون مطهّرون من الذنوب منذ وفاتهم، وكذلك أصحاب اليمين وإن كانوا أقل درجة من المقربين فيما يُحصِّلون من النعيم، أما الظالمون لأنفسهم فهم مُرْجَؤُون للمشيئة الإلهية؛ فإما أن يعفو الله عنهم ويغفر لهم وإما أن يعذبهم على تقصيرهم؛ فهم إذن على خطر من التعرض للعذاب في البرزخ وإن لم يفِ عذاب البرزخ بتمحيصهم من الذنوب فقد يتعرضون للعذاب في عرصات يوم القيامة قبل دخولهم الجنة

---

(١) هو جزء من حديث عند البخاري (٢٧٩٠) «الجهاد والسير».

حتى يخلُصون من الذنوب، فإذا خلصوا وطابوا دخلوا في جملة الذين يقال لهم: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ [الزمر:٧٣].

ويتفاوت المقربون وأصحاب اليمين في النعيم بحسب أعمالهم.

المقربون	أصحاب اليمين
١- قال تعالى في سورة الرحمن: ﴿ وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾: لكل عبد منهم جنتان من ذهب كما في الصحيح.	﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾: لكل عبد منهم جنتان أدنى من جنان المقربين وهي من فضة كما في الصحيح.
٢- ﴿ ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ﴾ أي: بها فنون وأنواع شتى من الملاذ، وقيل أغصان كثيرة تجمع فنونًا وأنواعًا شتى من الثمار،كما أنهما واسعتا الفناء فهما أكثر اتساعًا	﴿ مُدۡهَآمَّتَانِ﴾: كثيفتا الشجر, ممتلئتان بالخضرة، قد أسودتا من شدة الري.

ممن دونهما.	
٣- ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾تجمع بين النضح والجريان.. تفوح بألوان من الطيب على دور أهل الجنة كنضح المطر والنوافير.	﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ أي: كل منهما ممتلئة وفياضة تنضح بالطيب ولكن الجارية مع الفوران أفضل.
٤- ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ أنواع لا تحصى من الفاكهة ومن كل منها نوعان، قيل: نوع معروف، ونوع غريب، ونوع رطب وآخر يابس.	﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ تدل على أن فيها أنواع محدودة من الفاكهة وليست بالتنوع الذي في سابقتها.

٥- ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ ﴾ الفرش التي يجلسون ويتكئون عليها بطائنها من الديباج المذهب، هذه البطانة الداخلية، فكيف بالظاهر من الفرش؟ وثمارها قريبة دانية يتناولونها كيف شاءوا وعلى أي صفة كانوا، فهي تتدلى لهم حتى يتناولوها قيامًا وقعودًا ومضطجعين.	﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٖ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ ﴾ قيل: إنهم متكئين على وسائد خضراء جميلة، والعبقري الطنافس والبسط الموشّاة والمزخرفة.
٦- ﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ﴾﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴾ نسوة جميلات وقد قصرن أنظارهن على أزواجهن فلا يطمحن إلى	﴿فِيهِنَّ خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ﴾ ﴿حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ﴾ خيرات الصفات والأخلاق حسان الوجوه مجبولات على قصر أبصارهن على أزواجهن والتي قصرت



غيرهم باختيارهن وشبههن في الحسن والصفاء والبياض بالياقوت والمرجان.	نفسها باختيارها أفضل. فللمقربين قاصرات الطرف، ولأصحاب اليمين المقصورات في الخيام.
٧- يشربون من عين التسنيم.	يمزج هذا الشراب لهم بشراب آخر.

٨- يشربون من عين الكافور. هذا وغير ذلك من الأشربة المتنوعة كالخمر واللبن والزنجبيل والسلسبيل. ويقال عن عين الكافور التي يختص بها هؤلاء أنهم يتصرفون فيها حيث شاءوا يقودونها ويفجرونها في أي مكان أرادوا في دورهم ومجالسهم ومحالهم؛ قال تعالى: ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ وخلاصة القول أنهم أكثر نعيمًا وأوسع جنانًا وأجمل نساءً وأكثر عددًا منهن وأطيب طعامًا وشرابًا.	يمزج هذا الشراب لهم بشراب آخر. ولهم أشربة كثيرة أيضًا ولكن أشربة المقربين أطعم وألذ مذاقًا.



٩- وفوق ذلك فهم يرون ربهم عز وجل في اليوم مرتين بكرة وعشيا.	يرون ربهم كل جمعة في يوم المزيد.
١٠- قال تعالى في شأنهم: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ أخلصوا العمل فأخلص لهم الجزاء[١].	مزجوا العمل فمُزج لهم الجزاء.

(١) الجدول منتقى من «حادي الأرواح» لابن القيم، ومن «تفسير ابن كثير» لسور «الرحمن» و«الإنسان» و«المطففين».

نظرات ونظريات دنيوية... تصلح لوظائف أخروية:

الأسلوب المسمى (**optimization**) المثالية وإمكانية تطبيقه على الحياة الدنيوية؛ وهو طريقة متبعة في جميع مجالات الحياة في الدول المتقدمة ترمي إلى تحقيق المثالية في حل المشكلات في جميع الأمور؛ وذلك عن طريق استغلال الموارد المتوفرة أفضل استغلال لإنتاج أفضل عائدٍ بأقل التكاليف ولأطول مدة ممكنة. كإنشاء سدٍ مثلًا أو إدارة شركة بأقل التكاليف الممكنة وبتحقيق أعلى مردود من الفائدة على المدى الطويل.

وفي الحقيقة فإن السعي للمثالية ليس صنعة الغرب وحده؛ فإن الإسلام يدعو الإنسان لكي يكون ساعيًا للأمثل (**optimizer**) في جميع أموره وقراراته وأفعاله، وقد بين الله سبحانه ذلك في كتابه العزيز في أكثر من آية فقال جل وعلا: ﴿**لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۚ**﴾[الملك:٢]، وقال: ﴿ **إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى**

لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء:٩]، كما قال ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ﴾[الزمر:١٨]، وقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ﴾ [الأحقاف:١٦]، ونستطيع أن نطبق هذا الأسلوب أو هذه المثالية على حياتنا الدنيا بأسرها، وعلى كيفية قضاء أعمارنا فيها؛ فهي أكبر مشكلة وهي الأجدر بالبحث والحل، بل إنها أساس كل مشكلة تواجهنا في الحياة.

فلنحدد المشكلة(١) ولنبيّن الموارد ولنوجد لها الحلول الممكنة، ثم لنختر معًا الحل الأحسن والأمثل. وقبل أن نبدأ علينا أن نتعلم أولًا كيف نتخذ القرار السليم في الوقت المناسب، بناءً على العلم الصحيح فكثيرًا ما يقترن العلم بالحكمة في القرآن؛ وذلك لأن العلم بدون حكمة لا يؤتي ثماره،

---

(١) قد يختلط الفهم على القارئ في لفظ (مشكلة) فتُفهم على أنها ورطة أو معضلة، وليس هذا المقصود، إنما أقصد باللفظة تشبيهها بالمسألة الرياضية (**Problem**) وذلك تقريبًا للأذهان لبسطها وتحليلها ومن ثمّ حلّها الحل الأمثل.

والحكمة بدون علم ليست بحكمة، فلا فائدة فيهما إن لم يقترنا، وكلما ازداد الإنسان علمًا كان قراره أحكم، وحلوله أصوب في غالب الأمر. ولذلك فإن الإنسان كلما تقدم به العمر كان أقرب إلى الصواب في قراراته؛ وذلك لأن التجربة وكثرة المراس تكسبان المرء نوعًا من الحكمة، فنجد الطفل مثلًا يمسك بالمكواة الساخنة أو الآلة الحادة أو يسقط من مرتفع فيؤذي نفسه لأنه ليس لديه سابق معرفة، ولم يُحط علمًا بمخاطر هذه الأمور، ومن ثمّ لم يفكر، وكيف يفكر وذاكرته خالية من المعلومات؟

ومن الممكن اكتساب الحكمة؛ وذلك بالتفكير السليم على الأسس السليمة في اتخاذ القرارات التي سنتعرض لها بشيء من التفصيل فيما بعد، فعلى المرء أولًا أن يَعرِف المشكلة التي يريد أن يتخذ القرار بشأنها والإحاطة بها بجمع المعلومات عنها، بعد ذلك عليه أن يحدد الأهداف التي بناءً عليها سيحل المشكلة، ثم عليه أن يضع جميع الحلول الممكنة، ومن ثم يقوِّم تلك الحلول وينظر فيها على

المدى القريب والبعيد ويحدد الفوائد المحسوسة وغير المحسوسة، وكذلك التكلفة المحسوسة وغير المحسوسة كالضغوط النفسية والسعادة والشقاوة المترتبة على الخسائر والأرباح، بعد ذلك عليه أن يختار الحل الذي يحقق المردود الأعلى والتكلفة الأقل بناءً على الأهداف التي وضعت.

ومشكلتنا الآن هي الحياة (**حياتنا**) كيف نقضيها وكيف نستثمرها وكيف نحقق السعادة بها قبل أن نحقق السعادة فيها.

نعم هذه مشكلة جديرة بالنظر فيها واتخاذ القرار السليم بشأنها وقد أمدّنا الخالق -جل وعلا- بموارد للمساعدة في حلها، فقال رسوله ﷺ: «**لا تَزُولُ قَدمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ: عَنْ عُمُرُهِ فِيمَا أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلاهُ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ**

عَلِمهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ؟» [1].

وقال ﷺ: «**اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ**» [2].

وقال: «**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ، وَالْفَرَاغُ**» [3].

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢٤١٧) وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، والدارمي في سننه (٥٣٧)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/٦٠) واللفظ له، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٢٦).

(١) صحيح: رواه الحاكم في المستدرك (٣٠٦/٤) عن ابن عباس وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٠٧٧).

(٢) رواه البخاري (٦٤١٢) «الرقاق».

باستطاعتنا الآن أن نلخص هذه الموارد في الآتي:

١ - العمر متمثلاً في الوقت، وأخصّه وقت الشباب والفراغ. **٢ - المال.**

٣ - العلم. **٤ - الصحة.**

وقبل وضع الحلول وانتقاء الحل الأمثل، لا بد من معرفة الحياة المعرفة الحقيقية ووضع الأهداف السليمة التي على ضوئها نستطيع أن نتخذ القرار المناسب، وقد أوضح لنا القرآن الكريم حقيقة الحياة بما لا يترك مجالًا للشك في حقيقتها؛ فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**﴾ [الرحمن:٢٦-٢٧] وقال: ﴿**وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾ [العنكبوت:٦٤]، وقال: ﴿**إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ**

نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [يونس:٢٤] وغير ذلك من الآيات، الأمر الذي يبين أن هذه الحياة إلى زوال وإلى فناء ولكن متى؟ إن الحياة التي نعنيها هي حياة الفرد؛ فكل من مات انتهت حياته وقامت قيامته، وكم يستطيع الفرد أن يُعمِّر على هذه الأرض؟ إن من أطول الناس عمرًا في وقتنا الحالي من يصل إلى السنة العشرين بعد المائة وهم قليل، فلنفترض أن حياة الفرد تتراوح في حدود الثمانين سنة فهذه هي المدّة الافتراضية للحياة التي نعنيها.

ولابد من الأخذ في الحسبان أن حياة الإنسان لا تقتصر على هذه الدنيا الزائلة، وإنما هي حياة

أبدية؛ فالروح لا تموت ولا تفنى بفناء الجسد، وما الجسد بالنسبة للروح إلا كالدابة يركبها الإنسان ليقضي عليها حوائجه، وأن هذه الحياة الدنيا إنما هي مرحلة من المراحل التي سوف نتعداها إلى غيرها وهي: البرزخ (حياة الإنسان في القبر)، ويوم القيامة (وهو يوم العرض والحساب والذي قدره سبحانه في القرآن بخمسين ألف سنة)، ثم دار الإقامة الدائمة إما في الجنة وإما في النار، وأن الإنسان مجازىً على أعماله، فالروح هي المعوّل عليها وليس الجسد؛ فالإنسان إنما يسمع ويبصر ويفكّر ويعقل بالروح وليس بالجسد، إذن على ضوء هذه المعلومات لابد من التفكير واتخاذ القرار السليم بشأن هذه الحياة الأبدية في استغلال الموارد السابقة واستثمارها الاستثمار الأمثل لتحصيل أعلى مردود من السعادة والرفاهية لهذه الروح الغالية، ومن ثم الوصول بها إلى الجنة التي هي غاية المنى بعد رضوان الله ﷻ.

نجـد أن الله ـتبارك وتعالى ـ قـد بين لنـا ما اتخذ عبـاده السالفون من حلول، فبيّن لنا جميع الحلول الممكنة ولم يبق لنا إلا حرية اختيار الحل الذي نراه أنه الأمثل فذكر أن الناس قد افترقوا في ذلك إلى أربع فرق؛ وذلك من خلال قسمين رئيسين:

أحدهما: قسم الكافرين الذين أشركوا بالله وأنكروا البعث؛ وهؤلاء فريقٌ واحد من حيث المآل والمصير في الآخرة؛ وهو الخلود في النَّـار وهم الموصوفون بأنهم أصحاب المشأمـة؛ كمـا قال تعالى:﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ﴾ [البلد:١٩-٢٠].

والثاني: قسم الذين آمنوا بالله تعالى وباليوم الآخر؛ وقد وُصِفوا في سورة البلد بأنهم أصحاب الميمنة في مقابل الكافرين أصحاب المشأمة. وقد قسم هؤلاء المؤمنون السعداء في بعض السور إلى

سابقين مقربين وأبرار أصحاب يمين؛ دون ذكر للعصاة من المؤمنين وذلك كما في سور: الواقعة، والإنسان والمطففين.

بينما قسموا في آية أخرى إلى ثلاثة فرق وذلك بإضافة فريق عصاة المؤمنين إلى الفريقين السالفين: السابقين وأصحاب اليمين؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [فاطر:٣٢].

فيتحصل لدينا من مجموع ما ذكر أربع فرق:

١- فريق الكافرين الذين أشركوا بالله وأنكروا البعث.

٢- فريق الظالمين لأنفسهم من المؤمنين[١]؛ وهم المفرّطون في الفروض والواجبات، والمصرّون على الذنوب، وأصحاب الكبائر، نسأل الله العافية.

٣- فريق المقتصدين؛ وهم الذين اقتصروا على أداء الفرائض واجتناب المحرمات.

٤- فريق السابقين بالخيرات؛ وهم الذين أضافوا على فعل المقتصدين التقرب بالمستحبات وتجنب المكروهات.

---

(١) الظلم للنفس درجات أقصاه: الكفر والشرك بالله، كما أن المقتصدين يتفاوتون في درجاتهم وكذلك السابقين؛ لأن الناس يتفاوتون في درجة الصلاح والفساد. ولكن مرتبة «الظالمين لأنفسهم» في الآية تعني عصاة المسلمين وليس الكفار؛ لأن الله تعالى قال في أول الآية: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾.

فما أشد خسارة أولئك الذين رسبوا في الامتحان فاستغلوا جميع الموارد المتاحة لهم على أن الحياة على هذه الأرض هي كل شيء، أغرتهم زخارفها فتساقطوا عليها سقوط الغراب على الجِيَف، واختاروا بناءً على ذلك أفضل الحلول لتحقيق أعلى مردود من الرفاهية والنعيم فيها فكانوا ظالمين لأنفسهم الظلم الأكبر بكفرهم وإنكارهم للبعث، وخسروا خسارة فادحة؛ لقد اختاروا متعة أجسادهم الفانية في المرحلة الأولى من الحياة الأبدية للروح فبئس ما اختاروا لحاضرهم ومستقبلهم.

وأما الذين ظلموا أنفسهم من المؤمنين فقد فرّطوا تفريطًا كبيرًا، فلا استطاعوا كبح جماح الشهوات ولا احترزوا من مغبة الولوج في الحُرُمات فتاهوا وتشعبت بهم الطرق وأصبحوا على

خطر عظيم إن لم يتداركهم الله بالمغفرة، وهؤلاء يمثلهم -مع الأسف- كثير من المسلمين في عصرنا هذا.

وأما الفريق الثالث فقد كان همهم أن يتفادوا التعرض للنار، ولو بالاقتصار على ما يسقط المساءلة ويجنب العقوبة بالنار ولو كانت أدنى عقوبة؛ وهذا لعمر الله فلاح عظيم لمن أفلح في تحقيقه، ولهذا قال النبي ﷺ: «**أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ**»[(١)]. وفلاحه هنا فلاحان: **فالأول:** لنجاته من النار. **والثاني:** لقيامه بما يسبب له دخول الجنة دون سابقة عذاب، ولا يحاسب إلا حسابًا يسيرًا -وهو عرض أعماله عليه- ثم ينقلب إلى أهله مسرورًا.

---

(١) رواه البخاري (٤٦) «الإيمان»، ومسلم (١١) «الإيمان».

وأما الفريق الرابع الذي وضع أمامه هدفًا واحدًا وسعى لتحقيقه وهو الفوز بالدرجات العلى في الجنة، فسعى لاستغلال تلك الموارد في خدمة هذا الهدف أفضل استغلال، واعتبر أن حياته إنما هي مكونة من تلك المراحل الأربع: (الدنيا - البرزخ- القيامة - الجنة أو النار) فعمل لذلك ففاز، وهو فوق هذا لم يحرم نفسه من خيرات الدنيا بل قد تأتيه الدنيا وهي راغمة ولكنها لا تكون في قلبه، بل في يده، ولا تأثير لهواه على آخرته، فهذا لعمر الله الفائز.

وقد قال العلامة ابن القيم ﵀ في ذلك: «إذا أصبح العبد وأمسى وليس همه إلا الله وحده تحمل الله حوائجه كلها، وحمل عنه كل ما أهمه، وفرغ قلبه لمحبته، ولسانه لذكره، وجوارحه لطاعته. وإن أصبح وأمسى والدنيا همه حمله الله همومها وغمومها وأنكادها، ووكله إلى نفسه، فشغل قلبه عن محبته بمحبة الخلق، ولسانه عن ذكره بذكرهم، وجوارحه عن طاعته بخدمتهم وأشغالهم، فهو يكدح

كدح الوحش في خدمة غيره، كالكير ينفخ بطنه ويعصر أضلاعه في نفع غيره، فكل من أعرض عن عبودية الله وطاعته ومحبته بُلي بعبودية المخلوق ومحبتـه وخدمته قال تعالى: ﴿**وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ**﴾ [الزخرف:٣٦][(١)].

وقال ﷺ: «**مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ: جَعَلَ الله غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ. وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ: جَعَلَ الله فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلاَّ مَا قُدِّرَ لَهُ**»[(٢)].

---

(١) «الفوائد» لابن القيم (ص:١١٠).

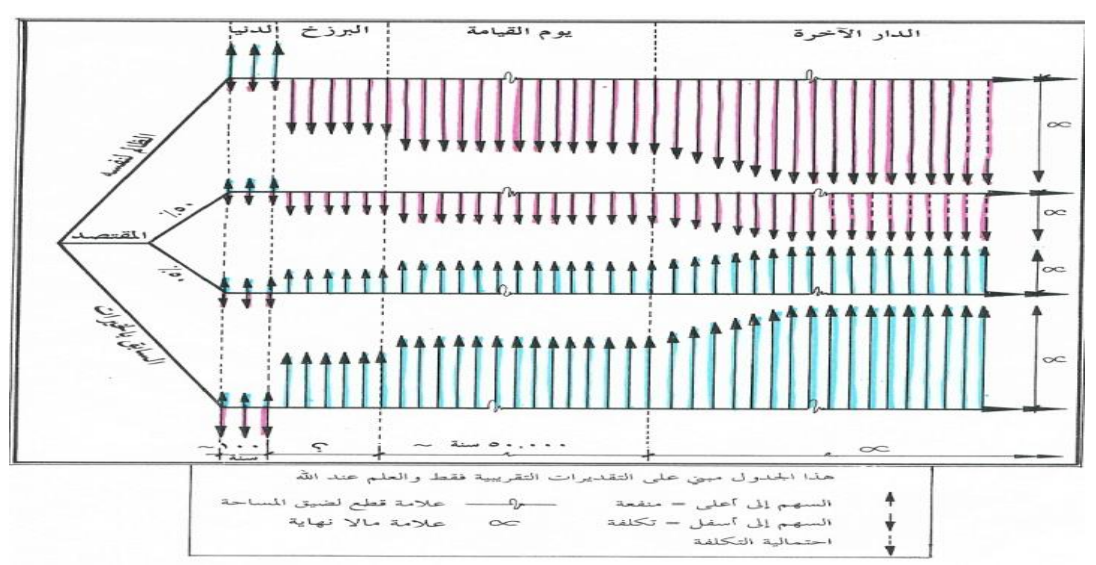
(١) صحيح: رواه الترمذي (٢٤٦٥)، وابن ماجه (٤١٠٥)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٦٩).

وقال ﷺ: «**مَنْ جَعَلَ الهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا: هَمَّ المَعَادِ؛ كَفَاهُ الله هَمَّ دُنْيَاهُ. وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الهُمُومُ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا؛ لَمْ يُبَالِ الله فِي أَيِّ أَوْدِيَتِهِ هَلَكَ**»(١).

فالمسلم إذًا مطالبٌ باختيار الحلّ الأمثل لآخرته وليس لدنياه دون آخرته؛ فاختيار الأمثل والأحسن وابتغاء الكمال الدنيوي إنما هو منقصة في الآخرة، مخذلة يوم العرض والحساب.

وبناء على ما ذكرنا في السابق فإن الحل الأمثل والأفضل بلا شك هو اختيار مرتبة السابق بالخيرات الموصلة إلى أعلى درجات الجنة بسلام من غير حساب ولا نقاش، والفائزة برضوان الله سبحانه والقرب منه ﷻ. انظر الرسم للتوضيح: **شجرة اتخاذ القرار**

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه (٢٥٧، ٤١٠٦)، وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٢٦٣).



الدنيا
البرزخ
يوم القيامة
الدار الآخرة
الظالم لنفسه
المقتصد
٥٠٪
٥٠٪
السابق بالخيرات
~ ١٠٠ سنة
؟
~ ٥٠.٠٠٠ سنة
∞
∞
∞
∞
∞
هذا الجدول مبني على التقديرات التقريبية فقط والعلم عند الله
السهم إلى أعلى = منفعة
علامة قطع لضيق المساحة
السهم إلى أسفل = تكلفة
علامة مالا نهاية
احتمالية التكلفة



التعريف بالشكل:

هذا الشكل هو في الحقيقة دراسة تحليلية لحل (مشكلة)[١] الحيـاة، أتقـدم بها إلى المستثمرين من أولـي الألبـاب. والشكـل السـابق يسمّى في علم تحليـل النظم (System Analysis) شجرة اتخاذ القرار (decision tree)، ويستخدمها المحللون في اتخاذ القرارات الاقتصادية الصائبة كما في استثمارات رجال الأعمال وذلك عند تعدد البدائل والخيارات فيقترحون عليهم بموجبها البديل الأفضل لاختياره واعتماده، وتتلخص في رسم خطوط بعدد البدائل المتاحة، ثم دراسة كل بديل على حده عن طريق تقييم الفوائد والتكلفة السنوية على مدى العمر الافتراضي للبديل، ورصد جميع الاحتمالات السلبية والإيجابية فيه بحيث يستبعد بعد ذلك كل بديل مكْلفِ أو مجهول العاقبة.

---

(١) ذكرنا آنفًا أننا نعني المشكلة هنا هي المسألة الحسابية التي تتطلب الحل إن صح التعبير.

ونحن هنا نحلل هذه البدائل الموصلة للهدف وهو (الجنة) ونرجح البديل الذي يحقق لنا أعلى قيمة من مجموع حساب نسبة الفائدة على التكلفة وهي ما تسمى بـ: (Benefet Cost Ratio) وتختصر إلى (B/C Ratio)، وكلما قومت تلك الفوائد والتكاليف تقويمًا صحيحًا، وكانت المعلومات المستقاة لتقويمها صحيحة(١)، كان القرار المتخذ تبعًا لذلك صائبًا وحكيمًا، ثم بعد ذلك نقوم الفوائد والتكاليف التي هي هنا تمثل (النعيم والعذاب) في المراحل الأربع لعمر الإنسان الأبدي.

شرح الشكل:

يوضح الشكل افتراق الناس من هذه الأمة في سعيهم في الحياة الدنيا إلى ثلاث فرق وهي السابق

---

(١) ولا أصوب قولًا من كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ.

ذكرها بعد استبعاد فريق الكافر لخسارته البائرة، وانحراف مساره عن الهدف، فمن هؤلاء من شحذ فكره وأعمل عقله ومنهم من عمل فيها بما يمليه عليه هواه، ومنهم من أطاع عقله تارة وهواه تارة، وكلٌ قد اختار بمحض إرادته ما يراه مناسبًا له، فمنهم الظالم لنفسه، والمقتصد ومنهم السابق بالخيرات.

ويظهر بأعلى الشكل المراحل الأربع التي يمر بها الإنسان خلال عمره اللانهائي. أول تلك المراحل هي الحياة الدنيا، وقد بيّنا أن عمر الفرد فيها يتراوح بين السبعين والمائة، وتلي هذه المرحلة مرحلة البرزخ؛ وهي مرحلة طويلة يتراوح عمر الإنسان فيها من فرد لآخر ولا يعلم عدد سنّيها إلا الله، وتبدأ فور انفصال الروح عن الجسد عند الموت. يلي ذلك مرحلة الوقوف في عرصات يوم القيامة للفصل بين العباد، ومقدار ذلك اليوم الرهيب كما هو ثابت في القرآن والسنة

خمسين ألف سنة. ثم يليه مرحلة الدار الآخرة؛ مرحلة الخلود الأبدي إما في الجنة وإما في السعير عياذًا بالله تعالى.

نرى أن الظالم لنفسه قد أخطأ التقدير إذ نظر بنظرته اللحظيّة القاصرة إلى حياته الدنيا في الغالب فكبرت في عينيه وآثرها على ما سواها حتى تضاءلت قيمة الآخرة لديه فلم يولها الأهميّة المطلوبة فسعى لكي ينال في دنياه أوفر المنافع ولكي يستمتع بملذات الدنيا أيّما استمتاع، وهو مع هذا السعي، قد لا ينال مبتغاه في الدنيا، بل قد يمضيها معيشة ضنكًا. وهي في الشكل (الأسهم المرتفعة إلى أعلى في مرحلة الدنيا) وكان نتيجة تقصيره العمل للمراحل الثلاث التالية أن دفع التكاليف الباهظة الثمن العالية الخسارة إلى ما لا يحصى عذابًا وأمدًا فلا يعلم أمده إلا الله قبل دخوله الجنة في النهاية، لذلك وضعنا بجانبه الرمز (∞) الذي يعني ما لا نهاية وتظهر هذه التكاليف في



الشكل على هيئة أسهم متجهة إلى أسفل في المراحل الثلاث.

ولكي نرصد نسبة الفوائد التي حصل عليها هذا الفرد إلى التكلفة التي جناها من جرّاء اختياره لهذا الطريق علينا أن نحسب:

مجموع الفوائد على مدى المراحل الأربع

مجموع التكلفة على مدى المراحل الأربع

ثم نرصد قيمة الأرباح بطرح مجموع التكلفة من مجموع الفوائد. وبالنظر إلى مسار الظالم

لنفسه بالشكل نجد أنه لم يكد يجمع من الفوائد إلا في مرحلة واحدة على الأكثر[١]، التي هي أقصر مراحل عمره المديد، ونال فيها أعلى مردود من الفائدة لمدة قد لا تتعدى المائة عام على أعلى التقديرات والتي تعتبر لحظة من لحظات عمره اللانهائي في حين أنه قد دفع من التكاليف الكثير على مدى المراحل الثلاث الباقية والتي يعجز الإنسان فيها عن حساب الزمن فيمكث في العذاب أزمانًا وأحقابًا لا يعلم منتهاها إلا العظيم الجبار.

وفي ذلك قال الرسول ﷺ: «... **حَتَّى إِذَا أَرَادَ الله رَحْمَةَ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ الله المَلاَئِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الله، فَيُخْرِجُونَهُمْ وَيَعْرِفُونَهُمْ بِآثَارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ الله عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ**

(١) نعني بالفوائد هنا: الاستمتاع بالشهوات في الدنيا، وهذا لا ينافي أنه باقٍ على الإيمان، ولذلك فإنه ينجو من الخلود في النار.

أَثَرَ السُّجُودِ فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ، فَكُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ النَّارُ إِلاَّ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ قَدِ امْتَحَشُوا، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ...» (١) .

وهؤلاء على درجات في نسبة مكوثهم في النار فمنهم من لا يُصلي البتة ولكنه يخرج بإقراره بأنه لا إله إلا الله، ومنهم من يُصلي مرة ويمتنع عن الصلاة مرات تفريطًا وتهاونًا، ومنهم من يُصلي ولا يصوم ومنهم الذي يُصلي ويصوم ويؤدي الأركان الخمس ولكنه يأتي الكبائر ويُصرّ عليها نسأل الله العافية.

وبعد أيها القارئ الكريم أليس هذا مغبون وظالم لنفسه حقًا؟! فلو حسبنا ما تحصّل عليه من منافع

---

(١) هو جزء من حديث عند البخاري (٨٠٦).

في دنياه إلى تلك التكلفة الباهظة الثمن غير المعلومة الأمد فإنها تكون كالتالي:

١- **نسبة الفوائد على التكلفة**: (B/C Ratio).

فائدة ــــ = **مجموع فوائد ١٠٠ سنة (في الدنيا)** ــــــــــ = **منافع ١٠٠سنة** ــــــــــ = **صفر**

تكلفة   **مجموع تكلفة على مدى مراحل العمر الباقية**   ∞ **(عدد غير محدود)**

لأن أي رقم إذا ما قسم على ما لا نهاية (∞)[١] = صفر.

٢- **قيمة الأرباح = الفائدة – التكلفة:**

---

(١) هذه العلامة هنا تعني عدد كبير يتعذّر حسابه ولا تعني الخلود بالضرورة.

= مجموع فوائد ١٠٠ سنة – تكلفة المراحل الباقية التي لا تحصى سنواتها (∞).

وهي باختصار = مجموع فوائد ١٠٠ سنة – ∞ = - ∞.

لأن أي رقم إذا ما طُرح من ما لا نهاية (∞) فكأنه غير موجود.

والدليل العملي على ذلك حديث رسول الله ﷺ إذ قال: «**يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً**(١) **، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ! هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لاَ وَاللهِ يَا رَبِّ. وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ! هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لاَ وَاللهِ يَا رَبِّ، مَا مَرَّ بِي**

(١) أي: يغمس غمسة.

بُؤُسٌ قَطٌّ، وَلاَ رَأَيْتُ شِدَّةً قَطٌّ»[1].

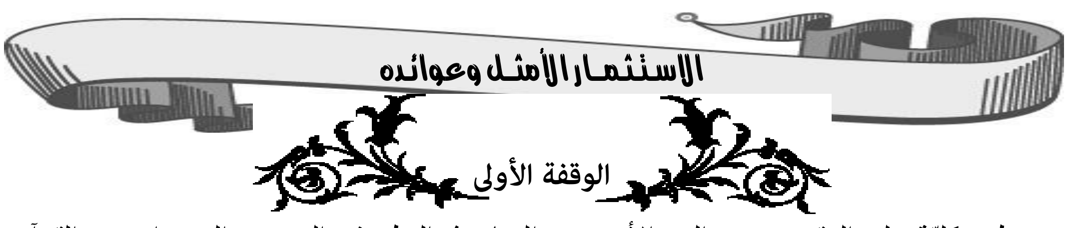
يدل الحديث على أن المرء إذا توفّرت له جميع سبل الرفاهية في الدنيا من مال وفير وسعادة نفسية وملذات لا حدود لها مع طول العمر والصحة وربما الملك والمنصب والجاه ثم يغمس في النار غمسة فإن جميع تلك الفوائد التي انتفع بها لا تساوي شيئًا مقارنة بها، فهي تساوي (صفر) أمام غمسة واحدة فما بالك بمن يمكث سنينًا وأحقابًا ولو كان مآله إلى الجنة بعد ذلك[2].

أما مسار المقتصد فقبل أن نتخذ القرار بسلوكه فإن لنا عنده وقفات..

---

(١) رواه مسلم (٢٨٠٧).

(٢) هناك استثنائات لا يستند إليها عند اتخاذ القرار، فقد يبتلى المذنب ببلاء يمحصه في الدنيا أو يتكلم بكلمة من رضوان الله فترفعه أو يعفو الله عنه.



بنظرة كليّة على المقتصر عن الحد الأدنى من العبادة ثم النظر في الوعود والتهديدات من القرآن والسنة، نجد الوعد للمقتصر المحسن في أداء عبادته بالفلاح، ونجد الوعيد لمن لم يحسن أو لم يؤدها على الوجه المطلوب.

قال ﷺ: «**إن الرجل ليصلي ستين سنة، وما تقبل له صلاة، ولعله يتم الركوع ولا يتم السجود، ويتم السجود ولا يتم الركوع**»(١).

وقال ﷺ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيُصَلِّى وَلَعَلَّهُ أَنْ لاَ يَكُونَ لَهُ مِنْ صَلاَتِهِ إِلاَّ: عُشْرُهَا، أَوْ تُسْعُهَا، أَوْ ثُمُنُهَا،**

---

(١) حسن: رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٢٢/١)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٥٢٩).

أَوْ سُبُعُهَا حَتَّى انْتَهَى إِلَى آخِرِ الْعَدَد» [1]، قال حسان بن عطية: «إن الرجلين ليكونان في الصلاة الواحدة وإن بينهما في الفضل كما بين السماء والأرض وذلك أن أحدهما مقبل على الله ﷻ والآخر ساهٍ غافل» [2].

وأنى لمن عمّر دنياه، وألقى بنفسه في غمارها الموّار، ولهث خلف سعار المادّة، وسباق التكاثر، واستغرق جوارحه وعقله في عقد الصفقات، وإبرام العقود، وبناء العقارات أن يخشع في صلاته؟ بل إننا لا نبرّئ ساحة المُقلّ في هذا العصر باعتراف كثير من الناس في عصر رفع فيه الخشوع إلا ممن رحم الله فكيف بالمكثر؟ وكيف لمن ضيع وقته في اللهث وراء الأصدقاء والخلان خلف تلك

---

(١) صحيح: رواه أحمد (١٨٤٠٠)، والنسائي في «الكبرى» (٦١١)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط : «صحيح، وهذا إسناد حسن من أجل عمر ابن أبي عبد الرحمن بن الحارث فقد روى عنه جمع»، وحسنه الألباني.

(٢) «الوابل الصيب من الكلم الطيب» لابن قيم الجوزية (ص:٣٦).

الشاشات السوداء، وفي تقليب (المحطات) من فضائية إلى أخرى بحثًا عن المتعة أن يؤدي صلاته في وقتها بلْهَ أن يخشع فيها، أو أن يحسن صيامه.

قال ﷺ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلاَتُهُ، فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، فَإِنِ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ؟ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ**»[١].

فمن الحكمة عند اتخاذ القرار أن نتساءل:

* ماذا لو لم نحسن الأداء؟...

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٤١٣)، والنسائي (٤٦٦)، وابن ماجه (١٤٢٥)، والدارمي (١٣٥٥)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي».

* وهل نضمن لأنفسنا أداء ما فُرِضَ علينا من عبادة على وجهها المطلوب بشروطها وواجباتها وأركانها؟...

الوقفة الثانية

مما لا شك فيه أن إيمان العبد يصقله العمل الصالح ويقويه فإن قل العمل قل الإيمان، وقلت المعرفة بأسماء الله وصفاته تبعًا لذلك فيكثر منه اقتراف الصغائر (أكثر من السابق بالخيرات) ويكثر اتكاله على المغفرة والرحمة من لدن ربه، وينسى أو يتناسى بطشه وعذابه وذلك لقلة عبادته وقلة معرفته بربه.

وفي الحديث: «**إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكْنَهُ**» -وإن رسول الله ضرب لهن مثلًا:- «**كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا بِأَرْضٍ فَلاَةٍ، فَحَضَرَ صَنِيعُ الْقَوْمِ: فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْطَلِقُ فَيَجِيءُ بِالْعُودِ، وَالرَّجُلُ يَجِيءُ بِالْعُويد، حَتَّى جَمَعُوا سَوَادًا، ثُمَّ أَجَّجُوا نَارًا فَأَنْضَجت مَا قُذِفَ**

فِيهَا»[1].

فإن مات العبد على صغائر لم يتب منها أهلكته إن لم يغفر الله له، مثله في ذلك كمثل صاحبي القبرين الذين مر بهما رسول الله ﷺ فقال: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ...**»[2].

فيحسُنُ بنا هنا أن نتساءل مرة أخرى:

* ماذا لو كثرت سيئاتنا؟

* وماذا لو لم تَفِّ حسناتنا بتغطية النقص بها وجبرها؟

---

(١) **صحيح لغيره**: رواه أحمد (٣٨٠٨)، والطبراني في «الكبير» (١٠/٢١٢)، والبيهقي في «الشعب» (٥/٤٥٦)، وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٤٧٠): «صحيح لغيره».

(١) رواه البخاري (٢١٨) «الوضوء»، ومسلم (٢٩٢) «الطهارة».



آه لو رجحت سيئاتنا على حسناتنا... إنها الطـامّة ومصيبـة المصـــائب...

إننا إذن سنعرض أنفسنا للوقوف والمساءلة والعذاب...

فما من عاقل يخاف لهب النار أن تصيب جوانبه ثم يقتصر على الحد الأدنى للعبادة لأنه لا يدري على وجه الحقيقة أمحسن هو أم مسيء؟ حتى ولو كان مؤدّيًا لها على الإخلاص والمتابعة وهذا دأب أسلافنا من الصحابة الكرام والتابعين العظام إذ كانوا يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة ألا تقبل منهم. إذ ليس كل من ظن أنه أهل لدرجة نالها إلا بالجد والمثابرة.

فالأولى للعبد أن يبتعد عن حافة الهاوية حتى لا يضطرب توازنه فيسقط فيها، «**كَالرَّاعِي حَوْلَ**

الْحِمَى؛ يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ» [1]، فإن التلميذ المجدّ الذي يسعى لنيل درجة «الامتياز» في دراسته قد لا ينالها، ولكنه إن نزل عنها بعد جدّه واجتهاده فقد يحوز على تقدير «الجيد جدًّا» على أقل تقدير وهذا يعني نجاته من الرسوب، أما من يسعى للنجاح وحده ولو بتقدير «مقبول» فإنه عندئذ معرض للرسوب وحينئذٍ لا يلومن إلا نفسه.

وعلى هذا فإن من الدقّة في رسم شجرة اتخاذ القرار رصد جميع الاحتمالات وأخذها في الحسبان فلهذا المسار احتمالان كونه على أدنى العبادة فمن أحسن فيه كان مقتصدًا ناجيًا، ومن لم يحسن كان مع الظالمين، وقد كثر العابرون من خلال هذا المسار في هذا الزمان ادعاءً وظنًا.

---

(١) رواه البخاري (٥٢) «الإيمان»، ومسلم (١٥٩٩) «المساقاة».

فحسبوا أنهم مقتصدون فائزون -والله أعلم بهم-، ولكن كثير منهم مفّرطون على شفا جرفٍ هارٍ، فليحاسبوا أنفسهم قبل أن يحاسبوا ويزنوا أعمالهم قبل أن توزن عليهم.

ولكي نعرف قيمة هذا المسار حسابيًا مع الأخذ في الحسبان احتمالية الخسارة فهي كالتالي:

١- **نسبة الفوائد على التكلفة** (B/C Ratio) =

فائدة فوائد ١٠٠ سنة   **فوائد ١٠٠ سنة (في الدنيا)**   –   **فوائد (في الآخرة)**

———— = ———— = ———— + ٥٠ %

تكلفة   تكلفة ١٠٠ سنة   كلفة ١٠٠ سنة

(في الدنيا)

فوائد ١٠٠ (في الدنيا) + صفر

―――――――― =؟ (تعذر إيجاد قيمة لعدم معرفة مدة التكلفة عند التقصير في الحد الأدنى للعبادة).

تكلفة ١٠٠ سنة (في الدنيا) + ∞ (مدة غير معلومة)

٢- قيمة الأرباح = الفائدة – التكلفة:

= ٥٠ % (فوائد ١٠٠ سنة + فوائد (في الآخرة) – (تكلفة ١٠٠ سنة + صفر)

+ ٥٠ % (فوائد ١٠٠ سنة – تكلفة ١٠٠ سنة – تكلفة (في الآخرة).

= ؟ (تعذر إيجاد قيمة لعدم معرفة مدة العذاب (التكلفة) إن وجد).

أيها القارئ الكريم... هذا تقييم لمسار وليس تصنيفًا لأصحابه. فعند تقييمه لابد من تفريعه إلى مسارين كما أسلفنا، مسار لمن ظن أنه على الاقتصاد وهو دون ذلك. ومسار لمن أحسن في أدائه ففاز وأفلح. وعلامة الاستفهام (؟) تدل على أن من سلكه لا يدري من أي الفريقين هو.

فالخطورة في سلوك هذا المسار تكمن في اقتصار صاحبه على الحد الأدنى من العبادة أو قريبٍ

منه مما يعرّضه للنقص فيها أو عجز حسناته عن محو ذنوبه كلها وافتقاره إلى رصيد من النوافل والأعمال الصالحة التي قد يحتاج إليها للنجاة من الهلاك.

أما السابق وما أدراك ما السابق، الفطن الكيّس؛ الذي نظر إلى مقدار حياته الدنيا في آخرته فهانت عليه وعلم أن آخرته هي الباقية، فعمل لها وكان سباقه إليها مشروطًا بالإخلاص لله ﷻ والسير على نهج رسوله صلوات الله وسلامه عليه، فهو (في الشكل) وإن كان قد دفع من التكلفة في دنياه أعلى من الظالم والمقتصد إلا أن ما قدمه لا يُذكر مقارنة بالفوائد الجمّة التي تحصل عليها على مدى عمره الأبدي الذي لا نهاية له بعد ذلك. فإن أردنا أن نضع قيمة حسابية لهذا المسار فإنها تكون كالتالي:

١- **نسبة الفوائد على التكلفة** (B/C Ratio).

فائدة		**مجموع فوائد (∞) في المراحل الثلاث**		**(∞)**		
ـــــ	=	ـــــــــــــــــــــــــــــ	=	ـــــــــ	=	(∞)
تكلفة		**مجموع تكلفة ١٠٠ سنة في الدنيا**		**تكلفة ١٠٠ سنة**		

٢- **قيمة الأرباح = الفائدة – التكلفة:**

= مجموع فوائد (∞) – تكلفة ١٠٠ سنة = + (∞).

فأي رقم إذا ما أضيف أو طرح من ما لا نهاية (∞) فإنه يساوي مالانهاية (∞).

ألا.. ما أشبه امتحانات الدنيا بامتحان الآخرة مع فارق التشبيه فمن فرّط في امتحان نصف السنة

ونهايتها وتدنّت نسبته عن حد معين فهو راسب لا محالة. ومن أراد الاقتصار على الامتحانين السالفين وترك ما عداهما من أمور اختياريّة كحضور المحاضرات وحل الواجبات وعمل المشاريع والأبحاث ودخول الامتحانات الشهرية فله ذلك ولكن لابد في هذه الحالة من حصوله على نسبة ١٠٠% للنجاح.

أما إن أدى ما عليه أو بعضه من أمور اختيارية فإنها تجبر النقص الذي قد يحصل له في أداء الامتحانين وترفع درجته، إذ من الصعب جدًا حصول الطالب على ١٠٠ % في الامتحانين وما من عاقل يكتفي بهما لأنه لا يضمن لنفسه النجاح. أما من حاول جهده الإحسان في أدائهما بالإضافة إلى ما عليه من متطلبات اختيارية فإنه في هذه الحالة يكون ناجحًا بل ومتفوقًا في الغالب.

فيا عجبًا...

ما بال أكثرنا يسعى للاجتهاد في الحضور، وحل الواجبات، والأبحاث، ليؤمّن لنفسه النجاح في الدنيا..

وأما في الامتحان الأكبر؛ امتحان الآخرة...

فإنه يقنع بالحد الأدنى، ويخاطر به.

إن اختبارات الدنيا يمكن تداركها في سنوات لاحقة.

أفلا تكون الآخرة التي لا مجال لتعديل نتيجتها بعد ظهورها أولى بالجدّ والاجتهاد؟

قال تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ۝٥٦ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٥٧ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

[الزمر:٥٦-٥٨].

نتائج التحليل لحل مشكلة[١] الحياة؛ الحل الأمثل:

		نسبة الفائدة / التكلفة B / C Ratio	الأرباح = فائدة – تكلفة P = B - C
١	**مسار الظالم لنفسه**	**صفر**[٢]	**- (∞)**[٣]

---

(١) أي: مسألة حسابية تستحق الحل (إن صح التعبير).

(٢) أي: أن الفائدة وهي الاستمتاع بملذات الدنيا لا يُقاس بما يتعرض له من عذاب (تكلفة).

(٣) لا يوجد أرباح فهي خسارة (لا نهاية) لمدة لا يعلمها إلا الله.

٢	**مسار المقتصد**	**(١)** ؟	**(٢)** ؟
٣	**مسار السابق**	**(٣)** (∞)	**(٤)** + (∞)

(١) تعذر إيجاد قيمة لعدم معرفة ما إذا كان هناك عذاب أم لا.
(٢) تعذر إيجاد قيمة لعدم معرفة ما إذا كان هناك عذاب أم لا.
(٣) نعيم (فوائد) إلى ما لا نهاية (خلود).
(٤) أرباح لا تنتهي في القيمة والمدة.



البداية... تحرير العقل

«إنما تكتمل العقول بترك الفضول...، ...إذا اكتملت العقول، كمل اغتنام الزمن، وتم إدراك شرفه، فأنت مهما جهدت لا ترى صاحب الفضول في مطعمه أو مشربه، أو ملبسه، أو منامه، أو زيارته، أو حديثة، أو غير ذلك من شؤونه، حريصًا على زمنه فضلًا عن أن يكون منافسًا له.

من عرف قيمة الزمن لا يكون إلا صاحب قصد واعتدال في أموره كلها؛ فهو يدري أن التوسع في المطاعم سبب النوم، وأن الشبع يُعمي القلب ويهزل البدن ويضعفه»[١].

فالقضية أننا نريد تحرير عقولنا، وبالتالي قلوبنا من أسر الفضول؛ هذا هو الهدف، فكيف

---

(١) «سوانح وتأملات في قيمة الزمن» للدكتور خلدون الأحدب (ص:٦٧).

الوسيلة؟

واقعنا المعاصر ومفهوم الهدف والوسيلة

الهدف: هو النقطة أو المكان الذي يسعى المتسابق للوصول إليه.

الوسيلة: هي أداء عمل معين للوصول إلى تلك النقطة أو لتحقيق ذلك الهدف. إن الذي حدث في هذا العصر هو انقلابٌ في الموازين واختلاطٌ في المفاهيم فأصبح الهدف وسيلة والوسيلة هدفًا، تعددت الأهداف فتعددت الوسائل فَفُقدت القدرة على التمييز، خذ على سبيل المثال:

* **الطعام:** لماذا نأكل حتى التخمة؟ لماذا يشكو الكثير منا البطنة؟ وما أمراض العصر التي ظهرت في القولون والأمعاء والمعدة وغيرها إلا منها؛ ألم يقل الرسول ﷺ: «**بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٍ**

يُقِمْنَ صُلْبَهُ» [(١)]؟

لقد تنوع الطعام، وتعددت صنوفه, وأصبح الهدف هو التلذذ والشبع والامتلاء.

* **المال:** هل يستطيع شخص الآن ممن أنعم الله عليهم بالمال أن يقول يكفيني مليون واحد، أو عدة ملايين فقط، ولن أسعى لاستثمار المزيد؟! إنه بلا شك سوف يسعى لطلب المليون بعد المليون، مع أن هذه الزيادة لن تزيد من اتساع جوفه للمزيد من الطعام، ولن تجلب له رخاء فوق رخائه، وإنما هو تكديس للأموال، واستمتاع بجمعها، والمفاخرة بكثرة العقارات والشركات والمؤسسات، لا

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢٣٨٠)، وابن ماجه (٣٣٤٩)، وأحمد (١٦٧٣٥)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٢٦٥).

التبلغ والاكتفاء. وصدق الشاعر حيث قال:

أراك يزيـدك الإثـراء حرصًا * على الدنيـا كأنك لا تمـوت

فهل لك غاية إن صرت يومًا * إليهـا قلت: حسبي قـد رضيت

* **السيارة:** نجد كثيرًا من الناس يسعون لامتلاك آخر «موديل»، ويحرص الواحد منهم على تغيير سيارته كل سنة... لقد أصبح الهدف امتلاك السيارة الفارهة، ولم تعد لدى البعض وسيلة للتنقل فقط، سُئل أحدهم عن أمنيته فقال: كل ما أتمنى هو أن أمتلك السيارة «الشبح»؛ يعني «المرسيدس الفارهة»، انظر إلى الأهداف الدنيوية والهمم الدنيّة!

* **المسكن:** هناك من يدخر الأموال ويقترض من البنوك الربوية لبناء المسكن الفاخر الذي يفوق

ما يملك من مال، وما ذلك إلا لأنه أصبح يعده هدفًا لا وسيلة، وإلا لما سعى في بذل ما يملك وما لا يملك من ديون وأقساط وقروض في سبيل تحقيق رفاهية تفوق الحاجة.

* **الوظيفة:** هي الأخرى لم تعد وسيلة للحفاظ على المستوى المعيشي، أصبحت هدفًا في حدّ ذاتها كمكانة مرموقة في المجتمع وأصبح الارتقاء في مراتبها هدفًا يستميت الفرد ويداهن من أجل الوصول إليه.

* **العلم:** لم يسلم العلم من ذلك أيضًا؛ فقليل من يتعلم ليزداد من الله قربًا ومعرفة، أو يتعلم للحاجة الماسة لهذا العلم سواءً للفرد أو للمجتمع، ولكن كثيرين هم من اتخذوا الشهادة هدفًا ليقال عالم.. مهندس.. دكتور.. بروفيسور.. لديه شهادة معتمدة من هنا.. ولديه بحثًا منشورًا هناك.

كل ذلك وغيره كثير، إن دل على شيء فإنما يدل على أمرٍ واحدٍ فقط هو الدنيا؛ هموم كثيرة ومتشعبة هي هموم الدنيا وقد قال ﷺ: «**مَنْ جَعَلَ الـهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا: هَمَّ المَعَادِ؛ كَفَاهُ اللهُ هَمَّ دُنْيَاهُ. وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا؛ لَمْ يُبَالِ اللهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَتِهِ هَلَكَ**»[(١)].

وقال ابن القيم ﵀: «فرغ خاطرك للهم بما أمرت به ولا تشغله بما ضمن لك، فإن الرزق والأجل قرينان مضمونان، فما دام الأجل باقيًا كان الرزق آتيًا، وإذا سدّ عليك بحكمته طريقًا من طرقه فتح لك برحمته طريقًا أنفع لك منه، فهكذا الرب سبحانه لا يمنع عبده المؤمن شيئًا من الدنيا إلا ويؤتيه أفضل منه وأنفع له، وليس ذلك لغير المؤمن؛ فإنه يمنعه الحظ الأدنى الخسيس ولا

(١) صحيح: وسبق تخريجه (ص:٣٢).

يرضى له به ليعطيه الحظ الأعلى النفيس، والعبد بجهله بمصالح نفسه وجهله بكرم ربه وحكمته ولطفه لا يعرف التفاوت بين ما منع منه وبين ما ذُخر[1] له، بل هو مولعٌ بحب العاجل وإن كان دنيًا، وبقلّة الرغبة في الآجل وإن كان عليًا[2].

وأين نحن من قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، لم يقل: ليركضوا في طلب أرزاقهم منذ اشتداد سواعدهم حتى نهاية آجالهم.

---

(١) ما خبئ له.

(٢) «الفوائد» لابن قيم الجوزية (ص:٧٥).

الترف الحضاري في بلادنا الإسلامية إلى أين؟

إننا أمة الإسلام نعلم تمام العلم ونوقن تمام اليقين أن هناك جَنَّة ونَارًا: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات:٢٣] ونؤمن أن الجنة يورثها الله عباده المتقين، وأن الدرجات العلى فيها لا تُحرز إلا بالعمل الصالح، أما غير المسلمين فإنهم يسعون إلى تحقيق أعلى درجات الرفاهية في الدنيا، وليس لديهم بعد حقيقي أو نظرة فاحصة عن حقيقة الجنة والنار وأوصافهما وأهلهما، ولذلك فالجنة بعيدة المنال بالنسبة لهم، فهم لا يتطلعون إليها، هذا إن آمنوا بها فضلًا عن شكهم وارتيابهم فيها، فلا جرم إذن أن يعملوا عملًا دؤوبًا لنيل كل ما من شأنه تحسين معيشتهم في الدنيا، بل إنهم يعملون فيها عمل من يظن انه خالدٌ مخلدٌ فيها؛ قال تعالى حكاية عن نبيه هود عليه السلام وهو ينكر على قومه أفعالهم قائلًا: ﴿أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعۡبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ﴾

[الشعراء:١٢٨-١٢٩].

قال المفسرون: أتبنون بناءً ومعلمًا مشهورًا عبثًا لا للاحتياج إليه بل لمجرد اللعب واللهو، وإظهار القوة؛ فأنكره عليهم لأن فيه تضييعًا للزمان، وإتعابًا للأبدان في غير فائدة، واشتغالًا بما لا يجدي في الدنيا ولا في الآخرة، وتتخذون أبنية وأبراجًا وقصورًا لكي تقيموا فيها ترجون الخلود في الدنيا كأنكم لا تموتون[١]؟ فما لنا نحن وهؤلاء؟ إنها جنتهم كما قال الصادق المصدوق ﷺ: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ»[٢]، وما ذلك إلا لأن للمؤمن فيها حدودًا لا ينبغي له أن يتعدّاها كما أن للسجن حدود، أما الكافر فلا حدود له فيها فليس له رادعٌ يردعه عن أعماله، فلا مانع من الإسراف

---

(١) انظر تفسير سورة «الشعراء» الآية (١٢٨-١٢٩) في «تفسير ابن كثير».

(٢) رواه مسلم (٢٩٥٦).

أو الربا أو الكسب الحرام أو غيره إلا ما وضع له من قوانين وضعية لا تؤثر كثيرًا على حياته في عصر «الحرية» غير المشروطة وغير المقيدة...

نعم أقول.. ما لنا ولهم؟ لماذا نتبعهم في كل صغيرة وكبيرة؟ حتى ولو دخلوا جحر ضب لدخلناه وراءهم كما أخبر الرسول ﷺ: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لاَتَّبَعْتُمُوهُمْ**». قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله! آلْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «**فَمَنْ؟**»(١).

لقد بهرنا التقدم العلمي والماديّ الذي أحرزته تلك الشعوب، فسعينا إلى تطبيقه بكل ما فيه حتى الملابس وقصات الشعر، لقد نسينا أن لهم تطلعات وأهدافًا، وأنّ لنا تطلعات وأهدافًا لا يمكن أن

(١) رواه مسلم (٦٧٣٢).

تتطابق، فتطلعاتهم تطلعاتٌ مادية بحتة، وأهدافهم أهدافٌ دنيوية بحتة، أما تطلعاتنا وأهدافنا فيجب أن تسمو عن هذه الحياة الدنيا، ويجب أن تتعدى هذه الأرض المحدودة؛ تتعدى الأفلاك والأجرام إلى ما فوق السماء السابعة، إلى جنة عرضها كعرض السماء والأرض، وهي والله حق، فلم لا نسعى إليها؟

إننا لسنا مطالبين بجلب كل سبل الرفاهية إلى بلادنا ولسنا مطالبين بمضاهاتهم فيما وصلوا إليه من تقدم وتقنية استهلاكية اللهم إلا ما نحن بحاجة إليه، ولله درُّ من قال: «اعمل للدنيا بقدر بقائك فيها، واعمل للآخرة بقدر بقائك فيها» فانظر ما بقاؤك في الدنيا وما بقاؤك في الآخرة، وفي الحديث

: «**مَا مَثَلُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَثَلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ فِي الْيَمِّ فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ**»[1]، وقد بيَّن الله تعالى في كتابه الجليل أنه لولا أن يعتقد كثير من الجهلة من الناس أن ما يغدقه الله على بعضهم من رفاهية مادية وأموال دليل على محبته لهم، لخص من يكفر به سبحانه بتلك الرفاهية والترف المادي، ولكنه جعل ذلك للجميع رحمة بضعاف الإيمان حتى لا يفتنهم بريق المادة فيكفرون مثلهم لأجلها، فالأحرى بمن خصهم الله بنعيم الآخرة أن يقتصدوا في نعيم الدنيا؛ فقال تعالى: ﴿ **وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ**

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٤١٠٨)، وصححه الألباني «صحيح ابن ماجه».



رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف:٣٣-٣٥].

إن ما يشكو منه جسد الأمة الإسلامية هو بحق ظاهرة مرَضية خطيرة؛ تلك هي الاشتغال بالوسائل والأسباب، وما ذلك إلا لاتباع الشهوات وعبادة الهوى، وهي أمورٌ يخشى أن تكون نذير هلاك، ولهذا قال النبي ﷺ: «**ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ: شُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ المرء بِنفْسِهِ**»(١).

(١) حسن: رواه الترمذي (٣٠٥٨)، وأبو داود (٤٣٤١)، وابن ماجه (٤٠١٤)، وحسنه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٨٠٢).

التنافس بين الوهم والحقيقة

إن الناظر إلى عالمنا اليوم يرى أناسًا أوشكوا أن يأخذ كل منهم بتلابيب الآخر يجعله خلفه قائلًا: نفسي نفسي... السبق لي لا لغيري، تنافس وسباق محموم في كل مجال، وفي كل طبقة من طبقات المجتمع: تنافس من أجل المادة أيهم يجمع أكبر قدر منها، وفي سبيل ذلك يحدث الظلم والكذب والتدليس والاختلاس والواسطة والحقد والبغضاء، فتغتصب الأموال وتنتهك الحقوق كل ذلك من أجل متاع زائل.

لم يحرِّم الله سبحانه السعي في طلب الرزق، بل حض عليه ولكنه دعا إليه بلفظ: ﴿وَٱبۡتَغُواْ﴾ ﴿فَٱمۡشُواْ﴾ فقال ﷻ: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الجمعة:١٠] ، وقال:﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾

[الملك:١٥]، ولم يقل واركضوا أو تسابقوا، وحينما أشار إلى أمر الآخرة والسعي في طلب الجنة دعا إليها بلفظ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾ ﴿سَابِقُوٓاْ﴾ فقال سبحانه: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ [آل عمران:١٣٣]، وقال: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الحديد:٢١].

وقد أرشدنا الله سبحانه إلى المجال الأمثل للتنافس السامي والهدف الذي لا ينشأ عنه ظلم ولا إثم ولا عداوة ولا بغضاء إذ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين:٢٢-٢٦]، فهذا والله هو مجال التنافس الحق، ومن فضل الله أن يسّر هذا التنافس على طالبه في هذا العصر، فلقد كان من قبلنا من السلف يتسابقون ويسارعون إلى الجنان بألوان الطاعات والقُرَبْ، وكان على من

أراد اللحاق بهم أن يشمّر عن ساقيه وينطلق، وإلا كان متخلفًا عن الركب.

أما اليوم.. فإن القوم سائرون إليها يمشون المطيطاء فلو شددت السير عنهم قليلًا لتفردت بالسبق.

أما التنافس في الدنيا فأمرها مفروغ منه، ورزق الإنسان مكتوب له فيها قبل أن يولد مهما سعى في الأرض وركض ركض الوحوش هنا وهناك ليستزيد منه، لن يأتيه إلا ما كُتِب له ولم ينل من ركضه إلا التعب والنصب.

فقد قال النبي ﷺ: «**إِنَّ الرِّزق لَيطلُبَ العبد أكثر مما يطلُبُهُ أجلُه**»(١)، وقال: «**لو أن ابن آدم**

---

(١) **صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير»، وابن حبان في صحيحه بلفظ: «كما يطلبه أجله»، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٧٠٣).

هرب من رزقه كما يهرب من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت»[١]، ومع ذلك فإننا نركض في طلب ما هو مضمون لنا وهو الرزق ونترك ما لم يضمن لنا وكأننا في غنى عنه وهو الجنة.

وهذا نقص في الإيمان؛ لأن العبد يعتقد أن عمله هو مصدر رزقه فلا يرده إلى الله وإن كان يؤمن بذلك قولًا لا فعلًا، لذلك فإنه يجاهد وينافس غيره في طلب المال، ويحتال في الحصول عليه فتجد هذا وأمثاله يكثر فيهم أكل مال اليتيم وأخذ الحقوق والمماطلة في أدائها وأكل الربا، كل ذلك في سبيل الحصول على الرزق، وهؤلاء يُخشى عليهم أن يكون إيمانهم كإيمان الأعراب: ﴿**قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ**﴾ [الحجرات:١٤].

(٢) حسن: أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩٠/٧)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٩٥٢).

ومثل ذلك إيمان العامة من المسلمين الذين يولدون مسلمين ويلتزمون شرائع الدين فهم على الإيمان، ولكن دخول حقيقة الإيمان إلى قلوبهم إنما يحصل شيئًا فشيئًا إن أعطاهم الله ذلك، وإلا فكثير منهم كما أوضح ذلك شيخ الإسلام في كتاب الإيمان لا يصلون إلى اليقين، ولو شُككوا في أمور الإسلام لشكوا فيها، ولو أمروا بالجهاد لما جاهدوا، وليسوا كفارًا ولا منافقين، ولكن ليس عندهم من علم القلب ومعرفته ويقينه ما يدرأوا به الريب، ولا عندهم من قوة الحب لله ورسوله ما يقدمونه على الأهل والمال، وهؤلاء إن لم يبتليهم الله بما يمحص به قلوبهم من المحن التي تبين صبرهم وثباتهم فماتوا دخلوا الجنة، وإن ابتلوا فبان عليهم الريب والشك ثم ماتوا على ذلك، ماتوا مرتابين وانتقلوا إلى نوع من النفاق والعياذ بالله.

ولذلك حينما جاء الرسول ﷺ إلى المدينة أسلم جميع أهلها، فلما جاءت المحن والابتلاءات نافق

من نافق، فلو ماتوا قبل الامتحان لماتوا على الإسلام، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ﴾ [الحج:١١].

فـهؤلاء يجمعون بين الإيمـان والنفـاق ، وقد يغلب أحدهما على الآخر، وهذا النوع من الإيمـان يكـثر فيـه تـرك الفرائض وانتـهاك المحارم [١].

نعم ما أكثر هؤلاء في عصرنا هذا؛ تجدُ كثيرًا منهم يصومون ويصلون ويؤدون أركان الإسلام، ثم تجدهم يستثمرون أموالهم في البنوك الربوية، أو يلعبون الميسر واليانصيب، أو يقومون بما يجرح إيمانهم من أعمال؛ كأن تتعلق قلوبهم بسبب من الأسباب حتى تغلب على توكلهم على الله. وغالبًا ما ينشأ ذلك عند الابتلاءات كما قال ابن تيمية فمنهم من يشتد خوفه عند المرض فيعتقد أن

---

(١) انظر كتاب «الإيمان» لابن تيمية (ص:٢٥٧).

شفاءه بيد الطبيب، وحتى لو ذكّرته بأن يتضرع إلى الله، وينظر فيما قدمت يداه ويستغفر من ذنوبه لضحك منك وظن فيك الظنون.

ومن المعلوم أن ذلك ينافي التوكل المستلزم للإيمان قال ابن تيمية: (وقد أمر الله بالتوكل في غير آية أعظم مما أمر بالوضوء والغسل من الجنابة) مع أن كثيرًا من الناس يفعلون عكس ذلك.

قال ابن القيم رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج:٣٨]. فإن كان مؤمنًا فالله يدافع عنه ولابد، وبحسب إيمانه يكون دفاع الله عنه، فإن كمل إيمانه كان دفاع الله عنه أتم دفاع، وإن مَزج مُزج له وإن كان مرة ومرة فالله له مرة ومرة. كما قال بعض السلف من أقبل على الله بكليته أقبل الله عليه جملة، ومن أعرض عن الله بكليته أعرض الله عنه جملة ومن كان مرة ومرة فالله له مرة ومرة؛ قال بعض السلف: من خاف الله خافه كل شيء ومن لم يخف الله أخافه من كل

شيء[1].

فخلاصة القول أنه إذا اعتقد العبد في الأسباب وكان اعتقاده بنفعها قويًا أوكله الله إليها بحسب قوة اعتقاده فيها، وكما في المثال السالف الذكر فإن اعتقد المريض بنفع الطبيب له أوكله الله إليه، والطبيب بشر قد يصيب فيأتي بما ينفعه، وقد يخطئ فيأتي بما فيه هلاكه.

(١) «بدائع الفوائد» لابن قيم الجوزية (٢/٢٤٥).

رسالة إلى المثقفين

لم يسلم كثير من المثقفين المعاصرين من خلط المفاهيم وغبش الرؤية في التمييز بين الأسباب والمسببات؛ فما أكثر الذين أحرزوا الشهادات العليا وأصبح لديهم من العلم القدر الذي جعل كلًا منهم يعتقد أنه بحرٌ في تخصصه.

لقد ظن المهندس أنه وعى جميع مشاكل البلاد فها هو يطمئن الناس ويعطي على ذلك الوعود أنه بالتخطيط السليم والوقت الكافي سوف يتم له السيطرة على أعقد المشكلات.

وهاهو الجيولوجي يطمئن السذج من الناس عند حدوث الظواهر الطبيعية من زلازل وبراكين بأن ذلك ناتج عن ضعف في القشرة الأرضية في منطقة معينة ويسرد لهم الأسباب ويطمئنهم معلنًا بأنه ليس هناك داعٍ للخوف.

وهاهو المحاسب يبرر إفلاس الشركة نتيجة تعرضها لكيت وكيت، واختلال موازين العرض والطلب، أو يبرر الغلاء وارتفاع الأسعار بمبررات أخرى.

وهاهو عالم الفلك ينقل للناس أسباب الأعاصير والريح المدمرة مرجعًا سببه إلى وقوع المنطقة تحت تأثير كذا، ويرد انحباس المطر إلى وجود تأثيرات أعاقت مرور الرياح الباردة إلى المنطقة أو نحو ذلك.

وها هو الطبيب يجزم بأن السبب في مرض معين هو كذا وكذا وتراه يحذر المريض من انتكاس حالته أو الموت إن لم يلتزم بإرشاداته.

ومع أنني أسلم بصحة ما ذهبوا إليه في أكثر تبريراتهم العلمية، لكن لماذا لا يردّ هؤلاء الأمر إلى الله أولًا ويأمرون بالتضرع إليه؟ فإن ما يعاقب الله به البشر على ذنوبهم من مصائب في المال

والأنفس والثمرات تأتي وفق ناموسه الكوني الذي قدره منذ الأزل، فهو الذي حجب المنطقة عن التيارات الباردة ليحبس المطر، وهو الذي أضعف القشرة الأرضية في تلك المنطقة ليحدث الزلزال، وهو الذي أوهن الجسد ليكون عرضة للمرض، أو يظن هؤلاء أنه طالما وجد التفسير العلمي لظاهرة من الظواهر فهي إذن ليست من عند الله: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء:٧٨].

ألم يقل -جلّ من قائل-: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ [الرعد: ٣١].

قد يقول قائل: إن هذا أمرٌ بدهي فكل شيء من عند الله، نعم يقول ذلك، ولكن أين الأفعال التي تدل على استيعاب الدرس والاتعاظ بالمواعظ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ﴾ [الأعراف:٩٤]، فأين الخوف من الجليل,أين التضرع، وأين شكر النعم وترك الإسراف والتبذير، ألم يقل ﷻ: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف:٩٦]، ألم يقل حكاية عن نوح عليه السلام:﴿ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا﴾ [نوح:١٠-١٢]، إنني أخشى أن نكون كالذين قال الله فيهم: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢا﴾ [الجمعة:٥].

لقد أسهم هؤلاء جميعًا في إبعاد الناس عن خالقهم، وساعدوا في فصل الأسباب عن مسببها، أنسوا الخلق التوكل على ربهم، وتراهم لا يردّون الأمر إلى الله أو إلى الذنوب والمعاصي، طالما وجودوا التفسير العلمي، خشية أن يُتهموا بقلة العلم أو التخلف عن ركب الحضارة؛ قال سيد قطب

رحمه الله: «إن مناهج البحث التي يسمونها (علمية) في هذا الزمان تقطع ما وصل الله من وشيجة بين الناس والكون الذي يعيشون فيه، و(المنهج الإيماني) لا ينقص شيئًا من ثمار (المنهج العلمي) في إدراك الحقائق المفردة، لكنه يزيد ربط هذه الحقائق المفردة بعضها ببعض، وردّها إلى الحقائق الكبرى، ووصل القلب البشري بها» [1].

ولعل السبب في ذلك يعود إلى المنبع الذي استقيت منه هذه العلوم، فقد استقاها طلابها من غير بلاد المسلمين حيث نالوا شهاداتهم وعادوا لتطبيقها وتدريسها في أوطانهم كما هي علمية بحتة، لم يضيفوا إليها الطابع الإيماني والصبغة الإسلامية التي تميزهم عن غيرهم، فهم يدرِّسونه لطلابهم

---

(١) «في ظلال القرآن»: تفسير الآية: (٨) سورة « ق » بتصرف.

علمًا ماديًا صرفًا خاليًا من اللمسات الإيمانية التي تبث الروح فيه وتزيد من ربط العبد بخالقه، ولعل من أهم التخصصات العلمية وأكثرها أثرًا على أفراد المجتمع علم الطب، وإن كان علم الفلك وعلوم الأرض لا يقلان تأثيرًا وأهمية، ولكن الطبيب يأتيه مرضاه في أشد حالات الضعف والحاجة إلى نصائحه وإرشاداته، ماذا عليه لو أنه ربط لهم العلم بالإيمان ووصف لهم الدواء ودعاهم إلى التوجه إلى الله بالدعاء مع تذكيرهم بالأعمال الصالحة والابتعاد عن الذنوب المسببة لكل بلاء؟ إن المريض شديد التأثر لما يقوله الطبيب، ولو نصحه بالبعد عن الماء الذي فيه حياته لفعل.

إن جماعات التنصير في البلدان الفقيرة تلقي مسؤولية عظيمة على كواهل الأطباء في عملية التنصير، لأن المريض يكون في حالة أضعف ما يكون عليها حينئذ، وفي حالة من التلقي أشد ما تكون وهو بين يدي الطبيب، إنهم وعوا رسالة الطبيب ومدى تأثيره على المرضى والناس عامة،

ولو وعى الناس هذا الأمر لقلت الحاجة إلى الأطباء وإلى الدواء.

إن عدم ربط العلم بالإيمان في نظر الإسلام جهل.. نعم فقد يكون (الدكتور والبروفيسور والعلامة) جاهلًا ولا عجب، فهو على علمه يجهل العلاقة بين العلم والإيمان، بين الأسباب ومسببها ﷻ، بين المخلوقات والخالق، ألم يقل ﷻ بشأن الأمانة: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب:٧٢]، نعم إنه جهول مهما وصلت درجته العلمية، ومهما ارتقى في سلالم المعرفة، إذا كان لا يقدر الله حق قدره، فيحسب أنه بمجرد ارتقائه في درجات العلم وحيازة المادة يكون شيئًا مذكورًا، إن هذا وأمثاله ضعاف عزّل.. عزّلٌ من السلاح الأمضى، تسلحوا بسلاح العلم ونسوا أن يتسلحوا بسلاح الإيمان، وسلاح العلم وحده لا يكفي.. لذلك فهم عرضة للسقوط والانهزام في أي لحظة، ولهذا تراهم ينقضون أفكارهم بين وقت وآخر، ويدحضون النظرية بأخرى يثبت خطؤها

فيما بعد.

إنني لا أطالب الطبيب وغيره بسرد محاضرة دينية قبل كل علاج، ولكن أطالبهم فقط بمحاولة الربط -في كل مرة ولكل مريض- بين العلاج الطبي والعلاج الإيماني؛ فالعلاج الإيماني هو المعوّل عليه أولًا وأخيرًا وما العلاج الطبي إلا سبب بسيط لطمأنة المريض في بعض الأحيان، هذه الحقيقة يجب أن يفهمها كل مريض من قِبَل الطبيب حتى تكون أبلغ أثرًا وأكثر استجابة.

لقد اكتشف هذه الحقيقة مؤخرًا بعض علماء أمريكا الكبار؛ فقد اتجهوا إلى علاج مرضاهم ذوي الأمراض المستعصية كالسرطان أعاذنا الله منه بالابتهال إلى الله والثقة في أن الشفاء من عنده فدعّموا علاجهم الطبّي بالعلاج الروحي وذلك لما وجدوا فيه من قوة علاجيّة عجيبة.

والله سبحانه يجيب دعوة المضطر وإن كان كافرًا أحيانًا ما دام الدعاء موجهٌ له وحده، وهذا من رحمته سبحانه، فما بالك إن كانت الدعوة صادرة من مؤمن موحّد. فهل نكتشف نحن هذه القاعدة كما اكتشفها الكثيرون من أطباء الغرب، أم أننا يجب أن ندرسها على أيديهم لكي نصدقها ونعمل بها؟!

يقول الأستاذ محمد قطب: «ولقد نحتاج أن نتعلم من الجاهلية المعاصرة وسائلها البارعة في تنمية الاستعدادات والمواهب -وهي وسائل بارعة حقًا- ما دام الخط قد انقطع بيننا وبين واقعنا التاريخي الذي كانت فيه الأمة الإسلامية أبرع أمة في الأرض وأحسنها استخدامًا لمواهب أبنائها واستعداداتهم الفطرية... ولكن الذي يحدث حين نرسل أبناءنا ليتعلموا في معاهد الغرب وجامعاته وسائل تنمية هذه الاستعدادات، أنهم لا ينقلون الوسيلة وحدها كما ينبغي أن يحدث، إنما ينقلون

الوسيلة ملفّعة بالغاية، فيختلط الخير بالشر -ويغلب الشرّ- لأن أبناءنا هؤلاء -حين يعودون- يعجزون عن استخلاص الوسيلة وحدها وتطويعها لأهداف أخرى من عند أنفسهم، لأننا نرسلهم -في الحقيقة- وليست لهم أهداف ذاتية ولا منهج ذاتي يفكرون به ويسلكون، لأننا -في حقيقة الواقع- لا نعيش الإسلام منهج حياة، فلا نملك ما نتميّز به عن الجاهلية السائدة في الأرض!

ولقد كانت أوروبا في بدء نهضتها ترسل أبناءها ليتعلموا العلم في مدارس المسلمين في الأندلس والشمال الإفريقي وصقلية وغيرها من أماكن الحضارة الإسلامية، فيتعلمون الوسائل وحدها، ويرفضون أن يأخذوا معها أهدافها الإسلامية وهي الحق المنزل من عند الله، ويصرون -يومئذ- على باطلهم الذي كفروا به اليوم فأسلمهم إلى الضياع -أفنكون نحن على هذه الدرجة من الهوان فنعجز عن فصل الوسائل عن الغايات المنحرفة التي تتلفع بها ونصر على أن نتبع أوروبا في طريق ضياعها

ونحن نملك الحق المنزل من عند الله؟!»[1].

فلنحذر من مغبّة ذلك.

---

(١) «منهج التربية الإسلامية» لمحمد قطب (٢/٢٨١).

أسباب المصائب

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾ [الشورى:٣٠].

بالتمعن في هذه الآية الكريمة نجد أن ما أصاب الإنسان من مصيبة فبما كسبت يداه من ثلاثة أوجه:

١- إما أن يكون السبب تقصيراً منه في الأخذ بالأسباب:

قال تعالى: ﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [البقرة:١٩٥]، فتكون المصيبة بسبب الإهمال والتفريط في هذه النصيحة، كأن يلقي الإنسان بنفسه إلى التهلكة ويخاطر بنفسه أو ماله مختارًا؛ فإنه عندئذ يتحمل مغبة ما يحدث له، انظر إلى من ينزل إلى البحر وهو لا يعرف

السباحة مثلًا أو يقود (السيارة) في الطريق العام وليس له خبرة بقيادتها، أو يشرب (الدخان) فتصيبه الأمراض.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ﴾ [الأعراف:٣١]، فهي نصيحة أخرى من خالق الإنسان الأعلم به، فإن لم يتّبعها وأفرط في الطعام كما هو الحال في كثير من الناس، فإنه يتحمل تبعة ذلك وما يحدث له من أمراض، وانظر إلى أمراض اليوم وأسقامها كيف تنوعت؛ منها ما يُصيب المعدة أو القلب أو الأمعاء ومنها ما يُصيب الجسد كله وينهكه كالسرطان عياذًا بالله، أليس أكثرها بسبب مخالفة هذه النصيحة؟

٢- بسبب الذنوب والمعاصي:

قد تحدث المصائب على غير اختيار الإنسان، وربما يكون قد بذل ما في وسعه من أسباب للحيلولة دون حدوثها، فإن حدثت بعد ذلك فإنها قد تكون بسبب الذنوب والمعاصي وهي على نوعين والله أعلم:

أ ـ إما أن تكون عقابًا ونكالًا:

فكل من بارز الله سبحانه بالمعصية فإن شاء أمهله وإن شاء أخذه أخذ عزيز مقتدر قال تعالى:﴿ **ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ [المائدة:٣٣].

ب ـ وإما أن تكون رفعة وتمحيصًا:

وذلك لأولياء الله الصالحين والذين أراد الله بهم الخير في الآخرة ولكن لم يعملوا من الأعمال ما يؤهلهم للدرجات العلى في الجنة فتكون المصائب رفعة لدرجاتهم إن صبروا عليها، أما الأنبياء والصالحون فهي تطهير لهم وقربة إلى الله.

فعَنْ أَبِيهِ سَعْدِ بْنِ أَبِى وَقَّاصٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله! أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاَءً؟ قَالَ: «**الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الأَمْثَلُ، فَالأَمْثَلُ، يُبْتَلَى الْعَبْدُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ؛ فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلاَؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلاَءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ**

خَطِيئَةٍ»(١).

وذلك مصداق قوله ﷺ: «**مَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ؛ حَتَّى يَلْقَى اللهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**»(٢).

٣-قد يجتمع على العبد التقصير في الأخذ بالأسباب مع الذنوب والمعاصي:

كشرب الخمر مثلًا والزِّنَا، وغيره نسأل الله السلامة.

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢٣٩٨)، وابن ماجه (٤٠٢٣)، وأحمد (١٤٩٧، ١٥٥٨، ١٦١٠)، والدارمي (٢٧٨٣)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٤٠٢).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٢٣٩٩)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٢٨٠).

دُنيانا وأُخرانا

قال تعالى: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ [القصص:٧٧][1].

تأملت هذه الآية الكريمة، فوجدت أن لفظ: ﴿وَٱبۡتَغِ﴾ قد ورد مؤكِّدًا على أمرٍ عظيم، وهو عبادة الله الخالصة وتسخير ما أنعم الله به على العبد في طاعته.

ونظرت في جملة: ﴿فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ فما وجدتها أشارت إلا إلى تلك الموارد الأربعة السالفة

---

(١) مع أن المقصود بهذه الآية هو قارون أو غيره. كما في ابن كثير، إذ وعظه قومه أن يستعمل ما وهبه الله من مال في طاعة ربه، ولا ينس التمتع بما أباح الله له في الدنيا من: مآكل، وملابس، ومساكن، ومناكح... إلا أنها عامة أيضًا لأن في القرآن عظة للجميع وهو صالح لكل زمان ومكان.

الذكر والتي سوف يُسأل المرء عنها يوم القيامة، وهي: المال والعلم والعمر والصحة المجموعة في الأحاديث المشار إليها سابقًا في فقرة: نظرات ونظريات دنيوية.

وتفكرت في لفظ: ﴿وَلَا تَنسَ﴾ فوجدت أن التذكير هنا قد ورد لأسباب منها:

- التأكيد على أن الدنيا وسيلة وليست غاية أو هدفًا. إذ لم تكن الوسيلة يومًا أكثر أهمية من الغاية، ولكن لا ينبغي على من كانت غايته آخرته أن ينسى ما يبلغه الوصول إليها.
- كما أن احتمالية النسيان هنا في قوله: ﴿وَلَا تَنسَ﴾ تؤكد على حقارة أمر الدنيا وتفاهتها.
- وأن الاهتمام بعظائم الأمور والانشغال بها من شأنه أن يُنسي ما سواها من الأمور الثانوية التي هي الدنيا واحتياجات الفرد فيها، فيحسن تذكير العابد هنا بألاّ ينشغل بعبادته لدرجة تنسيه

دنياه وما يحتاج إليه فيها.

وقد نسى طلاب الآخرة، في خضم عبادتهم لربهم، أمر الدنيا وما يحتاجون إليه فيها، فضلًا عن زخارفها فكان ذلك التذكير مناسبًا لهم.

ها هو أبو هريرة ﵁ يلازم رسول الله ﷺ ليأخذ منه فينسيه ذلك دنياه، فيقول لأصحابه: «لقد انشغلتم بالدنيا، وانشغلت بملازمة رسول الله ﷺ»، وأي دنيا تلك التي انشغل بها صحابة رسول الله ﷺ رضوان الله عليهم، وماذا كان يقول أبو هريرة لو رآنا؟!

وها هو أحمد ابن حنبل كان يصلي ثلاثمائة ركعة في كل يوم وليلة، ويختم القرآن الكريم في سبعة أيام، وكان كثير الدعاء والذكر، هذا فضلًا عن انشغاله في طلب العلم وتعليمه، وكان يدعو

فيقول: «اللهم لا تشغل قلوبنا بما تكفلت لنا به»[(١)] .

ومنهم من أنسته العبادة معاشرة أهله ومؤانستهم حتى ذُكِّرَ بأن لأهله عليه حقًا.

أما نحن فإننا بحاجة إلى من يذكرنا بالهدف الأسمى الذي خلقنا من أجله... بحاجة إلى من يهزّنا و يوقظنا بشدة ليذكرنا بالآخرة والله المستعان.

وظائف شاغرة:

عجبًا لنا.. ما إن تعلن الصحف عن وظائف شاغرة، محدودة وقليلة.. سائق.. سكرتير.. مهندس.. إلا ويتهافت الناس عليها تهافت الفراش على النار، أما حين يعلن القرآن ـ ويا لشرف الإعلان ـ عن

(١) انظر «أحمد بن حنبل إمام أهل السُنَّة»، لعبد الغني الدقر (ص:٢٥٥ـ٢٥٩).

وظائف شاغرة، حيث أرقى المناصب، وأسمى المراتب، ينكص الجمع ويولّون الدّبر!! فيا ويح المتنافسين ما أزهدهم أين هم؟ إنهم قليل... الوظائف شاغرة ومتوفرة بل كثيرة تستوعب كل من تقدم لها.. ولكن المتقدمين لشغلها قليل: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ [الواقعة:١٣-١٤].

ـ إذا كثر المتنافسون على الوظيفة زادت شروطها ومتطلباتها؛ وذلك حتى تتميز نخبة منهم فتفوز بذلك المنصب بجدارة. لذلك أرهق ثلة الأولين أبدانهم في العبادة، سهروا ليلهم وأظمأوا نهارهم، وقد شغلوا أوقاتهم بالطاعة وحفظوا أنفسهم عن المعصية. كل منهم يريد الفوز بتلك الوظيفة، تلك الرتبة العالية، والمنزلة السامية، منزلة المقربين؛ فعزيز أن يتميز فضلاء منهم وكلهم فاضل.

مثَلهم في ذلك مثَل طلاب في فصل كلهم أوائل متميزون، كل يسعى لحيازة الدرجات العُلى،

فأضحى التنافس بينهم على أشده؛ فما أصعبه من تنافس؛ يواصل أحدهم ليله بنهاره منكبًا على كتبه ودراسته حتى يفوز ويتفوق على أقرانه.

أما اليوم بعد أن قل المتنافسون على الوظيفة، قلت شروطها ومتطلباتها، فكل النفر المتقدمون أوائل.

مثلهم في ذلك مثل طلاب في فصل كلهم كسالى مستهترون، فإذا تميز نفر منهم حازوا الدرجات العُلى بأسهل ما يكون.

انظر كيف كان التنافس على الصلاة في الصف الأول زمن الصحابة والتابعين؛ لقد كان على من أراد إدراكه منهم أن يذهب قبل الصلاة بقدر كاف وربما قبل النداء، أما الآن فمن السهل إدراكه ولو جئت وقت إقامة الصلاة في بعض المساجد، وما ذلك إلا لقلة المتنافسين.

ومع ذلك فإن هؤلاء القلة أيضًا قد يفضلون في الأجر من سبقهم من الأولين المجتهدين بخمسين ضعف؛ سئل رسول الله ﷺ عن آية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [المائدة:١٠٥]، فقال: «**ائْتَمِرُوا بِالمَعْرُوفِ، وَتَنَاهَوْا عَنِ المُنْكَرِ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا وَهَوًى مُتَّبَعًا وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ؛ فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ، وَدَعِ الْعَوَامَّ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا: الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ الْقَبْضِ عَلَى الجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلاً يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ**». قَالَ عَبْدُ الله ابْنُ المُبَارَكِ: وَزَادَنِي غَيْرُ عُتْبَةَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ الله! أَجْرُ خَمْسِينَ رَجُلًا مِنَّا أَوْ مِنْهُمْ؟ قَالَ: «**لاَ؛ بَلْ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ**»[١].

(١) ضعيف: رواه الترمذي (٣٠٥٨)، وأبو داود (٤٣٤١)، وابن ماجه (٤٠١٤)، وقال الألباني في «ضعيف أبي

فيظهر هنا أن أجر القليل من الآخرين أكبر من أجر الأولين، كيف لا وهم يجدون على الحق معينًا ولا نجد[1].

فالزمن زمن غفلة، أحاطت بأهله الفتن والشهوات والمشاغل، وكلما زاد إعراض الناس وغفلتهم زاد أجر العاملين وتضاعف.

وقد يعجب سائل فيقول كيف لمجتهدٍ من هذا العصر أن يصل إلى درجة المقربين ولم يعمل عمل

داود»: «ضعيف لكن فقرة أيام الصبر ثابتة».

(٢) وهذا لا ينافي أن فضل صحابة رسول الله ﷺ أعظم من غيرهم، فهؤلاء يزيدون عليهم في الأجر وليس في الفضل... فقد قال ﷺ: «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم...**» رواه الترمذي، فلن يبلغ أحد مِنْ المتأخرين مُدَّ أحدهم ولا نصيفه.

أولئك الثلة من الأولين؟

والجواب: أن الله سبحانه هو الحكم العدل إذا حاسب العبد نظر إلى بيئته وعصره.أرأيت إذا حاسب أحد المدرسين طلابه بالنظر إلى طلاب له سابقون كان يدرّسهم منذ ثلاثين سنة مثلًا، فيقول لهم: سوف أقوّم تحصيلكم مقارنة بأقران لكم كانوا يدرسون هنا منذ ثلاثين سنة وقد كانوا فطاحل متفوقين.. إنهم بلا شك سوف يرسبون إذا ما عُوملوا بهذا المقياس. ولله المثل الأعلى، فليس بالضرورة على من عمل لنيل درجة المقربين من المتأخرين أن يوزن عمله بعمل أحد من الصحابة رضوان الله عليهم، فلكلٍ بيئته وظروفه التي تساعده على العبادة أو تلهيه عنها.

ولكن المهم هنا... أن على المرء محاولة سبق أقرانه في بيئته في كل طاعة، وعليه أن يستمر على ذلك فلا تفتر عزيمته حتى يصل إلى الهدف وهو الجنة؛ فمن تطلع إلى الجنة هدفًا لن يتوقف

عن العمل لها طوال حياته؛ فكل هدفٍ سوى الجنة يمكن أن يحرزه الفرد في الدنيا ثم يصيبه الفتور بعده، وإذا مضت حياته دونما هدف يحدده لنفسه ملّ وسئم، وأصبحت حياته رتيبة؛ يومه كأمسه، لا شيء يحفّزه على مواصلة الطريق، ولا هدف يسعى للوصول إليه فيسعد بإحرازه.. قال أحد المبتعثين الذين كانوا يدرسون بالخارج: كنت هناك أسعى لنيل درجة الدكتوراه، وحينما نلتها أحسست بالفرحة تغمرني، وبعدها عدت إلى وطني وانخرطت في سلك التدريس... أضحت حياتي رتيبة مُملّة، تسير على وتيرة واحدة خاصة بعد نيل درجة الأستاذية (بروفيسور) فلم أجد ما أسعى إليه بعد ذلك، فوددت لو أعود فأكون طالبًا من جديد: فإن أردت يا أخي أن يكون سعيك نحو هدف متجدد مستمر لا ينقطع فاجعل نيتك دائمًا رضوان ربك والدار الآخرة، فكلما أحرزت هدفًا صغيرًا عددته (شوطًا) قطعته نحو الهدف الأكبر؛ فإنك عندئذ لن تشعر بالملل حتى وإن استوفيت عملك

الدنيوي الذي ابتغيت به وجـه الله وأصبحت موظفًا متقاعدًا، فاعتبر أنك قد انخرطت الآن في سلك آخر أو وظيفة أخرى، فسخر ما حباك الله به من علم في طاعته، وفرغ نفسك لعبادته.

إذا تأملت طبيعة الحياة في هذا العصر؛ يدخل الفرد طفلًا صغيرًا إلى المدرسة، ثم يرتقي فيها سنة بعد أخرى حتى يصل إلى الجامعة، ثم يتخرج منها ليبحث عن وظيفة فينخرط فيها ليؤمن لأهله معيشتهم، ويستمر على ذلك حتى يبلغ سن الستين، فإذا تقاعد أصابه الإحباط، وشعر أنه لم تعد له قيمة في هذه الحياة، وكأن الهدف الذي كان يسعى من أجله قد انتهى. فهو الآن على هامش الحياة، فلو أن المتقاعد وعى أن هذه الوظيفة ما هي إلا وسيلة للكسب، فإذا تبلغ منها ما يكفيه تفرغ لعبادة ربه لذهب عنه ذلك الإحساس، ولزالت عنه تلك الكآبة، وذلك لأنه عرف أنه كان يسعى لنفع غيره وعليه الآن أن يتفرغ لنفسه ويسعى لمعاده.

قال أحد الحكماء: حينما كنتَ طفلًا صغيرًا كان القلم مرفوعًا عنك، ولما كبرت.. أصبحت شابًا

طائشًا مهدارًا لوقتك، ولما تقدمت بك السن غدوت شيخًا هرمًا. فمتى تعبد ربك يا هذا؟

أجر العامل

ينبغي أن نعلم أن أجر العامل يتضاعف عند الله بأمور:

١- بحسب صلاح العامل وقوة إيمانه وفضله عند مولاه:

وكما قال ابن القيم ﵀: «فإن تفاضل الأعمال بتفاضل ما في القلوب من حقائق الإيمان»[١].

فقد يثاب العامل التقيّ الصالح على العمل نفسه أكثر من غيره؛ وذلك لأن العمل إذا رُفع إلى الله من عبد صالح معروف لدى الملأ الأعلى في السماء بتقواه ومشهود له عندهم بالخير والمحبّة، تقبّله

(١) «الوابل الصيب من الكلم الطيب» لابن القيم (ص:١٥).

الله وضاعف له الأجر من جهتين:

أ - لأنه عمل طيب خالص لوجهه تعالى.

ب- لأنه صادر من عبد محبوب معروف عند الله بتقواه.

وفي الحديث القدسي: «**إذا أَحَبَّ الله العبد؛ نَادَى جِبْرِيلَ: أن الله يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ. فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ الله يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ...**»(١)، وقال: «**وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ**»(٢).

وكثيرًا ما يحدث هذا التفضيل المبني على السُّمعة الحسنة في مقاييس البشر؛ ألا ترى كيف أن

---

(١) رواه البخاري (٣٢٠٩) «بدء الخلق».

(٢) رواه البخاري (٧٤٠٥) «التوحيد»، ومسلم (٢٦٧٥) «الذكر والدعاء».

الشركات والمستشفيات تضاعف أجر الطبيب أو المهندس مثلًا إذا كان (استشاريًا) حاصلًا على درجة الأستاذية (بروفيسورًا) ويزداد أجره إذا كان معروفًا على مستوى البلاد، بغض النظر عن عمله، فقد يتساوى تشخيص الطبيب الأخصائي المبتدئ في المهنة مع ذلك الاستشاري المشهور ولكن الأخير يأخذ من الأجر على سمعته أضعافًا مضاعفة، ولله المثل الأعلى وإذا كان هذا التفاضل في الدنيا فكيف به عند الله، ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء:٢١].

٢- بحسب موقع العمل من جهتين:

أ - من حيث جدواه ومنفعته، إما بحسب قوة حاجة المنتفع إليه، وإما بعموم نفعه ووصوله إلى

شريحة كبيرة من المسلمين، وقد ورد الحديث الشريف: «**خَيرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ**»[1]، فكلما عظم نفع العمل للمسلمين، كان أجره عند الله أعظم، كإنشاء المستشفيات والمؤسسات الخيرية التي يصل نفعها إلى عدد كبير من الناس، ونشر الكتب النافعة وما إلى ذلك ما دام ذلك خالصًا لوجهه تعالى.

ب - من حيث يقظة العبد فيه وإخلاصه ونيته عند الله؛ فإذا أدى العامل عمله على العادة والغفلة ولكن النية فيه التقرب إلى الله فتراه مشغولًا بطاعة الله وقلبه لاه عنه مع مجاهدته فإنه مقبول بإذن الله كما قال ابن القيم ﷺ، ولكن هذا العمل إذا رفع إلى الله لم يقف تجاهه ولم ينظر إليه، ولكن يوضع حيث توضع دواوين الأعمال حتى تعرض عليه يوم القيامة فتميّز فيثيبه على ما كان له منها ويرد عليه

(١) صحيح: رواه الطبراني في «الأوسط» (٥٨/٦)، وقال الألباني في «الصحيحة» (٤٢٦): «حسن صحيح».

ما لم يرد وجهه به منها, فيثيبه على هذا العمل بمخلوق من مخلوقاته من القصور والأكل والشرب والحور العين، وأما إذا كان العمل خالصًا لله تعالى، متعلق صاحبه بالله على الدوام فإنه إذا رفع إلى الله وقف تجاهه فينظر إليه ﷻ فإذا نظر إليه تقبّله ورضي عنه وأرباه ونمّاه إلى أضعاف كثيرة، وأعلا درجة صاحبه ومنزلته عنده، وأعطاه بغير حساب[(١)].

٣- بحسب طاقة العبد وجهده:

سُئِل رسول الله ﷺ: أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «جُهْدُ المُقِلِّ»[(٢)]، فقد يبذل العامل القويّ المعافى

---

(١) انظر «الوابل الصيّب» لابن القيم (ص:٣٨).

(١) صحيح: وهو جزء من حديث رواه أبو داود، وأحمد، وابن حبان، والدارمي، والبيهقي وغيرهم، وهو في «مسند أحمد» (٨٤٨٧، ١٤٩٧٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (١١١٢).

عملًا مساويًا لما يبذله الضعيف العاجز فيضاعف الله للضعيف ويجزل له الثواب لأنه بذل ما في وسعه فيه، وقد ينفق الفقير دراهم معدودة يبتغي بها وجه الله فينال عليها من الأجر ما لا يناله الغنيّ الذي ينفق الآلاف المؤلفة، وما ذلك إلا لأن الفقير بذل أقصى ما يستطيع وأفضله، وأحبّه إلى نفسه، وأما الغنيّ فربما يكون قد أنفقه من فضول أمواله التي لا حاجة له بها والتي لا تمثل شيئًا بالنسبة إلى رأسماله الكبير؛ ولذلك قال ﷺ: «**سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفٍ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله! وَكَيْفَ ذلك؟ قَالَ: «**رَجُلٌ لَهُ دِرْهَمَانِ فَأَخَذَ أَحَدَهُمَا فَتَصَدَّقَ بِهِ، وَرَجُلٌ لَهُ مَالٌ كَثِيرٌ فَأَخَذَ مِنْ عُرْضِ مَالِهِ مِائَةَ أَلْفٍ فَتَصَدَّقَ بِهَا**»[١].

(١) حسن: رواه النسائي (٢٥٢٧)، وابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب



٤- لفضل الزمان والمكان:

كفضل شهر رمضان والعشر من ذي الحجة على غيرهما إذ تضاعف فيهما الحسنات. ومن أفضل الأماكن عند الله التي يضاعف فيها الأجور الحرم المكيّ ومسجد رسول الله ﷺ والمسجد الأقصى، والمسجد القديم الذي تقام فيه الجمعة ويكثر فيه المصلون له فضل على غيره من المساجد... وهكذا.

٥- يتضاعف العمل في مكان الغفلة وزمن الغفلة:

فكلما اقترب الناس من الساعة ازدادوا غفلة وبعدًا عن دين الله وشريعته؛ وذلك لكثرة الشهوات

والترهيب» (٨٨٣).

وفتح أبواب النعم:﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام:٤٤].

وقد فتحت الدنيا في هذا الزمان على كثير من الناس، وجاشت الأرض بصنوف النعم التي لم يمدّنا الله بها حبًّا وكرامة، وإلا لكان رسول الله ﷺ وصحابته الكرام أولى بها منا، ولكنه الابتلاء والامتحان ، فكلما أحدث المفرطون ذنباً، أحدث الله لهم نعمة، حتى يُغرقهم بالنعم من كل حدب وصوب يستدرجهم بها قال تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [المؤمنون:٥٥-٥٦].

وبنظرة سريعة على مجتمعاتنا نرى كيف كان فتْح النعم نقمة إلا على من رحم الله؛ فتح الله على

الأسر فتمـادوا في الترف والتنعم، وتهافتوا على كل تفاهة تأتيهم من الغرب أو الشرق، قلدوا الكفار في ملابسهم وهيئاتهم وأعيادهم وقصات شعورهم. ولم تعد الخلاعة والتفسخ وأفلام الجنس حكرًا على بلاد الكفر والفسق فقد غزت بضاعتهم الفاسدة بلاد المسلمين، ومنذ أن اعتلت تلك الأطباق السوداء أسطح منازلنا، اعتلى قلوبنا الرّان فأحلكها، وطمس على بصائرنا فأظلمها، وإذا كان الناس قد استبشروا بدخوله بلاد المسلمين هو وشبكات الإنترنت فإننا لا نراه إلا نذير شؤم، وسحابة سوداء تذكرنا بسحابة قوم عاد التي فرحوا بها واستبشروا: ﴿قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَاۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[الأحقاف:٢٤].

نعم.. نقول ذلك ونحن نعلم ما فيهما من فائدة، ولكنها فائدة يمكن الاستعاضة عنها بغيرها، أما ما فيها من مضرّة فلا يمكن التجاوز عنها، وما ضيّعناه [(١)]، أو ما سنضيعه من وقتٍ فيهما لا يمكن استرجاعه، فيبقى حسرة وندامة، ولسوف تتقطع عليها أنفسنا حسراتٍ يومئذٍ ولات ساعة مندم.

نقول.. وعلى كثرة هذه الفتن وانهمار وابل الشهوات، فإن أجر العامل في آخر الزمان يزداد ويتضاعف لمعاناة المؤمن وصبره على ما يلقاه.

---

(١) هذا إن كان ما ضيعناه من وقت في مباح لا نفع فيه فما بالك بغير المباح فإن الإحصائيات أشارت إلى أن حوالي ٧٠% من متصفحي الإنترنت من العالم أجمع بما فيه البلاد الإسلامية هو لغرض التسلية المحرّمة. هذا ولا يخفى على أحد ما فيهما من فائدة جمّة لمن أراد الفائدة.

ففي الحديث: «**إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيمَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ: كَمَا بَيْنَ صَلاَةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، أُوتِيَ أَهْلُ التَّوْرَاةِ التَّوْرَاةَ فَعَمِلُوا حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ النَّهَارُ عَجَزُوا، فَأُعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، ثُمَّ أُوتِيَ أَهْلُ الإِنْجِيلِ الإِنْجِيلَ فَعَمِلُوا إِلَى صَلاَةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ عَجَزُوا، فَأُعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، ثُمَّ أُوتِينَا الْقُرْآنَ فَعَمِلْنَا إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَأُعْطِينَا قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ، فَقَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ: أَيْ رَبَّنَا! أَعْطَيْتَ هَؤُلاَءِ قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ، وَأَعْطَيْتَنَا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، وَنَحْنُ كُنَّا أَكْثَرَ عَمَلًا، قَالَ: قَالَ الله ﷻ: هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ أَجْرِكُمْ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالُوا: لاَ، قَالَ: فَهُوَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ**»(١).

دلّ الحديث الشريف على أن عمل اليهود والنصارى كان أكثر من عمل المسلمين ولكن أجرهم عليه

---

(١) رواه البخاري (٥٥٧) «مواقيت الصلاة» و(٧٤٦٧) «التوحيد».

أقل.

وقد وسّع الله على هذه الأمة، وأحل لها من المباحات ما حرّمه على اليهود؛ فقد كانوا في حرجٍ وضيق بسب ذنوبهم وتضييقهم على أنفسهم، فقد كلفوا بتكاليف شاقة كقتل النفس في التوبة، وقطع موضع النجاسة من الثوب، وقد اشتهر عبّاد بني إسرائيل بالانقطاع للعبادة ونبذ الدنيا.

كما اشتهر قساوسة النصارى بالتبتل في الأديرة ما لم يكن ذلك عند المسلمين؛ قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ [الأعراف:١٥٧].

وكما كان عمل اليهود والنصارى أكثر وأجرهم أقل فإن أمة محمد ﷺ في عصرها الأول عملها أكثر، فقد يعمل أحدهم عملًا من صلاة أو صدقة أو غيره ثم يأتي مسلم من آخر الزمان فيعمل العمل نفسه فيضاعف له أجره إلى خمسين ضعف كما أسلفنا(١).

ومن أماكن الغفلة على مدى الزمان؛ التي يضاعف فيها الأجر على العمل الصالح، الأسواق وأماكن الملاهي وكل اجتماع لا يذكر فيه اسم الله، وقد بلغ من اهتمام الصحابة والسلف الصالح رضوان الله عليهم وحرصهم على مضاعفة الأجور أن كان بعضهم يمر بالسوق فيدخله لا لشيء ولكن ليذكر الله فيه فينال الثواب المضاعف وقد ورد في الحديث: «**مَنْ دَخَلَ السُّوقَ فَقَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ**

---

(١) انظر فقرة «وظائف شاغرة».

اللهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ، بِيَدِهِ الخَيْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَتَبَ اللهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ، وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ» (١)، وفي رواية: «**وَبُنِيَ لَهُ بَيْت فِي الجَنَّة**».

واللبيب الفطن هو الذي يحاول الجمع بين هذه البنود الخمسة ما استطاع فيضاعف الله له الثواب أضعافًا مضاعفة.

---

(١) حسن: رواه الترمذي (٣٤٢٨) وقال: «حديث غريب»، والدارمي (٢٦٩٢)، وحسّنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٩٤).



الاستثمار الأمثل

نظرة إلى (المليارديرات) في عصرنا الحالي...

قبل عشرين إلى ثلاثين عامًا مضت في دول النفط وغيرها مثلًا لم يكن هؤلاء المليارديرات شيئًا يذكر. ومع استغلالهم لأيام (الطفرة) التي كانت في تلك الأيام استطاعوا أن يصلوا إلى ما وصلوا إليه من ثروات طائلة، مع أنهم في بداية الأمر لم يكن لديهم من الأموال ما يميزهم عن غيرهم في ذلك الوقت، فكيف استطاعوا أن يصلوا إلى هذا الغنى الفاحش فيما لم يستطع غيرهم، مع امتلاكهم لنفس الموارد؟

بإلقاء نظرة فاحصة عليهم في تلك الحقبة من الزمن نجد أنهم استثمروا أموالهم القليلة في مجال لم يكن يستقطب إلى القلة القليلة من الناس فمعظمهم عنه غافلون، وما ذلك إلا لافتقار هذا المجال إلى المكسب العاجل ولدخول عنصر المخاطرة فيه إلى حدٍ كبير، وهذا المجال الذي نحن بصدده هو مجال العقار والاستثمار في الأراضي البعيدة عن العمران؛ خذ مثلًا على ذلك مدينة جدة بالسعودية، كانت جدة مدينة صغيرة وكانت أسعار قطع الأراضي البعيدة عنها والقريبة من البحر مثلًا زهيدة جدًّا فقد كان سعر المتر في تلك المناطق النائية لا يتعدى عدة ريالات، فكان الاستثمار والاتجار بها يعد أمرًا مستبعدًا للغاية. ولم يكن أحد يظن أن ما يفعله هؤلاء هو في الحقيقة استثمار، أو أن له أدنى قيمة، وكان أكثر الناس زاهدين فيه لأنه كما أسلفنا استثمار بعيد الأمد، بل ربما اتهموا هؤلاء المستثمرين بالجنون ودفن أموالهم في التراب، حيث كانوا يستبعدون جدًّا امتداد العمران إلى تلك

المناطق النائية أو أنها سوف تكون ذات قيمة في يوم من الأيام.

إن هذه الثلة من أفراد المجتمع نظرت في استثمارها إلى المدى البعيد، فلم ترض بالأرباح اليسيرة العاجلة فأصبحت بذلك هي الثلة السابقة بالأموال، فقد صبروا على عقاراتهم، وكان همهم هو جمع المخططات فقط حتى مر عليها الزمن وارتفعت قيمتها بعد ذلك إلى مئات بل آلاف الريالات للمتر الواحد، فهم اليوم أعيان البلاد وهم طبقة التجار الميسورين المقربين إلى وجهاء المجتمع.

وأضحى أولئك الذين كانوا بالأمس يتهمونهم بالجنون ودفن أموالهم في التراب من أصحاب اللذة العاجلة، والمكاسب السريعة.. أصبحوا ينظرون إلى هؤلاء نظرة إكبار ويشيرون إليهم بالبنان،

فهؤلاء هم طبقة الأذكياء الذين تاجروا بأموالهم حيث كانت البضاعة كاسدة، والسوق رخيصة، فجمعوا وجمعوا حتى تكدست لديهم الأموال، فهم في نظرهم الآن هم الأذكياء الذين أحسنوا استغلال الفرص، استطاعوا أن يدخروا لغدهم حيث ولّت الفرص إلى غير رجعة.

العروض المربحـة:

أيها الأذكيـاء، يـا من اغتنمتم الفرص زمن الطفـرة، زمن الغفلة، هل لكم في استثمار أفضل، وغنى أكثر، مهلًا لقد ظننتم أن هـذه الفرص هي التي ينبغي أن تغتنم قبل أن تذهب فـلا تعود، انتبهوا... فإن الفرصة اليوم سانحة، والعرض سار لغنيمة أكبر, وربح أوفر، لقد ظننتم أن استثماركم هو الأفضل وعددتم أنفسكم أذكياء، تنبّهوا فإن هناك من هم أكثر منكم دهاءً وأشد ذكاءً قد

ذهبوا بما هو أبعد أجلًا في نظركم ولكنه أنفس وأغلى، إنها الحسنة والله، إن عدم وضوح القيمة الفعلية للحسنة في الدنيا جعل كثيرًا من الناس يستهين بها، فهو لا يستطيع صرف هذه الحسنات على سبيل المثال لشراء أو امتلاك أي شيء، أو تحصيل أي منفعة مادية بها لذلك فهو في غفلة عنها.

إنّ الريال أو الدينار أو الدولار أو امتلاك المادّة عمومًا تُعدّ اليوم القيمة التي أضحى الإنسان يقوَّم بها في الدنيا، فهو يوزن بما معه من مال فإن كان من الذين لا مال لهم فهو صعلوك لا قيمة له ولا وزن.

فإذا كانت المادة كذلك في الدنيا ترفع أقوامًا وتضع آخرين في أعين البعض، فإن الحسنة هي العملة التي يقوَّم بها الفرد يوم القيامة وهي التي يرفع الله بها أقوامًا ويضع آخرين بفضله ورحمته.

فمن نظر إليها الآن نظرة بعيدة الأمد كنظرة أولئك النفر من أغنيـاء الطفرة لجمع منها كما جمع أولئك من العقـارات والمخططـات، فكم هي زهيدة الآن في نظر النـاس، وإذا كان سعر المتر من تلك العقـارات قديمًا حفنة من الريـالات، وهو الآن يساوي آلافًا مؤلّفة منها، فإن قيمة الحسنة الواحـدة يوم العرض والحســاب تساوي الدنيا وما فيها... نعم أعود فأؤكد أن قيمة الحسنـة الواحدة فقط تساوي جميع ما يملك الفرد بل الدنيا كلها وما حوت من أموال ولذائذ وشهوات.

وأعني بلفظ: «القيمة» هنا: ما يدفعه الفرد لامتلاك شيء ما.

كيف تكون قيمة الحسنة الواحدة تساوي الدنيا وما فيها وأكثر؟!

لنضرب مثلًا يوضح ذلك:

تخيل أخي الكريم... أنك الآن في يوم العرض والحساب وقد تساوت حسناتك مع سيئاتك، ووجدت أنه لابُدّ لك من البحث عن حسنة واحدة كي تزحزحك عن عذاب النار، هنا تتضح القيمة الفعلية للحسنة، فأنت الآن على استعداد لبذل ما تملك وما لا تملك للحصول عليها، فتسعى في ذلك اليوم الطويل الذي سيكون مقداره خمسين ألف سنة وستدنو فيه الشمس من رؤوس العباد قدر ميل، يطفأ نورها ويضاعف حرها، ويؤتى بجهنم سوداء مظلمة لها شهيق وزفير وتقذف بشرر في حجم القصر ولون القار ولها سبعون ألف زمام يجر كل زمام سبعون ألف ملك وهي تحاول التفلّت منهم لتنقض على أمثالك من المفرّطين، فأنت في ظلام دامس، وخوف قاتل مع مليارات البشر العراة في

ذلك الوقت، لا تقل كما يقول الجهلة: «الموت مع الجماعة رحمة» فقد ردّ على ذلك سبحانه مسبقًا في قوله: ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ [الزخرف:٣٩]، وفي خضم ذلك البحر الهائل من الناس الذين تشابهت أجسادهم عليك فلم تعد تميز القريب من البعيد، هذا إن أمكنك الرؤية في هذا الظلام الدامس، وفي ذلك الموقف العصيب، تخيل أنك تبحث عن والدك العطوف كي تسأله تلك الحسنة التي بها سوف يرجح ميزان حسناتك فلعلك تنجو من النار، فتبحث عنه.. وتبحث.. وتسأل، وكلٌ في شغل عنك، كل يريد أن ينجو بنفسه وكل يبحث عما أنت تبحث عنه، تخيل كم ستستغرق من الزمن كي تجده بين هؤلاء البشر في تلك الظلمة، وإذا وجدته.. كم ستكون فرحتك غامرة وكأنك وجدت كنزًا، وتظن أن كربتك قد فرجت، فها قد وجدت والدك العطوف الذي كان يغدق عليك بالأموال إنه لن يبخل عليك الآن بتلك الحسنة..

ولكن ما تلبث أن يدب اليأس إلى قلبك من جديد بعد أن تسمع منه تلك العبارة «نفسي... نفسي» فيخطر ببالك أمك الرؤوم التي كم سقتك من حنانها، وكم حرمت نفسها لتعطيك في الدنيا، فتتحول إلى البحث عنها مئات وربما آلاف السنين في ذلك الحر والعرق الذي يسيل منك فتسبح فيه حتى تجدها فتستعطفها علّها تجود عليك بحسنة، حسنة واحدة كنت مستغنيًا عنها في الدنيا، كانت تُعرض عليك فتتركها تذهب أدراج الرياح، وكم ستكون صدمتك أيها المسكين حين تسمع منها القول الذي سمعته من أبيك: «نفسي نفسي... لا أوثرك اليوم على نفسي» فتتذكر زوجتك الحبيبة، أم أولادك، التي طالما أغدقت عليها من الدلال والملبس والمأكل، فكم تستغرق أيضًا في سبيل البحث عنها، كم من السنين الطوال التي تساوي أضعاف عمرك في الدنيا في سبيل البحث عن تلك الزوجة، ولكنك ما إن تجدها حتى تسمع منها الإجابة نفسها، فتذهب إلى كل من يخطر ببالك تستنجد به، إلى ولدك، فلذة كبدك، إلى ابنتك، إلى أخيك، وأختك، وخالك، وعمك، وعشيرتك فتسمع الإجابة اليائسة في كل

مرة: «نفسي... نفسي».

آه.. لقد مضى عليك الآن أكثر من عمرك في الدنيا، بل أضعافه، خمسون ألف سنة وأنت تبحث عن حسنة، كنت تستطيع أن تحصل على العديد منها في الدنيا في أقل من الجزء من الدقيقة.

إن احتمال عثورك على أبيك أو أمك أو أحد من أقربائك في ذلك الوقت وسط مليارات البشر احتمال ضئيل جدًا، يستغرق آلاف السنين من الخمسين ألف سنة، وذلك في علم الاحتماليات كمن يبحث عن كرة ذات نقطة سوداء بين ملايين الكرات المماثلة بدون النظر إليها، وذلك بالطبع سوف يستغرق من الوقت ما لا يحصى.هذا مع احتمالية فرارهم منك ومحاولة التخفي عن أنظارك خشية أن تكون لك مظلمة عليهم يوم لا يتحمل أحد عن أحد وزن جناح بعوضة:﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ٣٤

﴿وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ﴾ [عبس :٣٤- ٣٧].

أرأيت كيف أصبحت سوق الحسنات الآن غالية؛ تلك التي لم تكن تأبه لقيمتها في الدنيا، لم تكن تساوي عندك سيجارة واحدة من التي ينفثها صاحبها لدقائق ثم ما يلبث أن يسحقها تحت أقدامه، كم كان يستغرق من الوقت في شربها، إن ما استغرقه في شربها ونفث دخـانها كنت تستطيع أنت الحصول فيه على آلاف مؤلفـة من الحسنات نعم والله آلاف مؤلفة من الحسنات.

ولنفترض جدلًا أنك قد تحصلت على تلك الحسنة عند أحدهم كم كنت على استعداد لأن تدفع في سبيل امتلاكها؟ أليس كنت ستدفع كل ما تملك من غال ونفيس في سبيلها، نعم، كيف لا؟ فبها بعد رحمة الله تدخل الجنة وتعتق من النار؛ يقول الله تعالى في شأن الكفار: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم

مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة:٣٦]، وينطبق عليك هذا القول إن لم يرحمك ربك فلن يقبل منك لو كنت تملك ما في الأرض جميعًا ومثله معه، لأن سوق المال والمادة الآن لا قيمة له ولا وزن... وبضاعتك اليوم أصبحت كاسدة وحتمًا سوف تبحث لك عن شيء آخر، تفتدي به في سبيل الحسنة الغالية قال تعالى: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ [المعارج:١١-١٤].

إذن تلك الحسنة تساوي من في الأرض وما في الأرض جميعًا؛ لو أنهم ملك لك لبذلتهم جميعًا فداءً في سبيل الحصول على تلك الحسنة.

لعلك لا تكاد تصدق أن تلك الحسنة التي كانت حقيرة في عينيك سوف يأتي عليها يوم من الأيام

وإذا بقيمتها ترتفع في (بورصة) الأسعار يوم العرض الأكبر حتى تساوي الدنيا وما فيها.

أيها الغافل، يا من كنت تعد نفسك من الأذكياء، أما اتضحت لك (الجدوى الاقتصادية) للحسنة بعد هذه الدراسة المسهبة والأكيدة التي لا احتمال فيها ولا مخاطرة؟ لقد كنت تخاطر بأموالك في تجارة غير مؤكدة الربح، فهذه مضمونة الأرباح سليمة من الخسارة.

أيها الغافل.. سارع قبل أن يغلق باب العرض والطلب فلا يعد لما تملك قيمة إلا الحسنات، سارع باقتنائها فإن التجارة رابحة والسوق يومئذ رائجة وأبوابها اليوم لا حصر لها، ولا يستطيع أحد احتكارها، أقدم.. أقدم ولا تخف. يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: «أعرف كثيرًا من الناس لا يعوزهم الرأي الصائب؛ فلهم من الفطنة ما يكشف خوافي الأمور، بيد أنهم لا يستفيدون شيئًا من هذه الفطنة لأنهم محرومون من قوة الإقدام فيبقون في مكانهم محسورين بين مشاعر الحيرة

والارتباك»[1].

وما ذلك الإحجام والخوف من الإقدام إلا لمحبة الهوى التي تمكنت من قلوبنا فأصبحنا نخطئ ونظن أننا نحسن صنعًا، ونحيد عن الطريق ونَحسب أننا على الجادة.

يجب أن نفصل بين ما نحب أن يكون وبين ما يجب أن يكون، حتى يتضح لنا الطريق ويسهل علينا اتباع الحقيقة التي لا زيف فيها، لأننا إذا نظرنا إلى الحقيقة بمنظور الهوى فإننا لن نرى سوى الهوى نفسه ظانين أنه الحقيقة.

أخي الكريم.. إنك لكي تصبح مليارديرًا في الدنيا لابد لك من البحث عن مجال من مجالات

---

(١) «جدد حياتك» محمد الغزالي (ص:٥٤).

الاستثمار يوفر لك عائدًا يتراوح بين ١٠ إلى ١٠٠ إلى ٢٠٠ ضعف من رأس مالك، وهذا قد أصبح مستحيلًا الآن إلا بكرامة من الله فقد سبقك إليه مليونيرات الطفرة الذين كان لهم السبق وكانوا الأوائل القليلين وحققوا أعلى عائد من الربح وسبقوا غيرهم في ذلك.

ولكن لا تزال الفرصة أمامك لاستثمار أوسع، وأوفر ربحًا مما فكر فيه هؤلاء، وأكثر الناس في غفلة عنه، فلتكن من القلة القليلة الذين حازوا قصب السبق في ذلك المجال:﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ [الواقعة:١٣، ١٤]، قليل هم الذين سيهديهم تفكيرهم وإيمانهم بالله إلى هذا المجال، إنك سوف تحصل فيه على عائد يتراوح بين العشر إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة للحسنة الواحدة فلماذا لا تُقدم؟.. أتخاف أن تذهب الدنيا من بين يديك؟ كلا، إنك لن تخسر الدنيا التي تحبّها بل ستربح الاثنين معًا الدنيا والآخرة.

عن ابن مسعود ﷺ: «أَنَّ رَجُلًا تَصَدَّقَ بِنَاقَةٍ مَخْطُومَةٍ فِي سَبِيلِ الله، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَيَأْتِيَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِسَبْعِمِائَةِ نَاقَةٍ مَخْطُومَةٍ**»» (١).

الأرباح الخيالية..

إن الاستثمار بالأموال في الدنيا وجني الأرباح لا يأتي إلا بالكدّ والتعب, وبذل الكثير من الوقت والجهد، أما الحسنة فإن من مجالات التجارة فيها ما لا يحتاج منك أن تقوم من مقامك.

إنك على سبيل المثال تستطيع أن تقرأ الآية من القرآن فتأخذ على كل حرف منها عشر حسنات،

(١) صحيح: رواه النسائي (٣١٨٧)، وقال الألباني: «صحيح».

فلو قرأت سورة الفاتحة التي لا تستغرق قراءتها ثلاثين ثانية أو أقل، تحصل على ما يقارب ١٤٣٠ حسنة والله يضاعف لمن يشاء، وقد أكد ذلك المصطفى ﷺ بقوله: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ الله؛ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لاَ أَقُولُ: ﴿الٓمٓ﴾ حَرْفٌ، وَلَكِنْ: أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلاَمٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ**»(١).

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أنه ما من مؤمن يدعو فيقول: اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات إلا كان له بكل مؤمن ومؤمنة ومسلم ومسلمة حيًا كان أو ميتًا حسنة.ففي الحديث :«من استغفر للمؤمنين والمؤمنات، كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة

---

(١) صحيح: الترمذي (٢٩٨٨) وقال: «حديث حسن صحيح»، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» برقم (٢٩١٠).

حسنة»[1]

وهناك مواسم وأماكن تضاعف فيها الحسنات إلى أضعاف كثيرة، وبجهود يسيرة، فتمتلك بها القصور والبساتين، والحور العين، والخدم إلى ما لا نهاية من متاع لا ينقطع ولا يفنى.

فمن أغنياء الدنيا من يدّخر الملايين بعد شق الأنفس ثم يشتري بها قصرًا هنا وبستانًا هناك، ويمكث بين التنقل في أملاكه عمره القصير الذي قدر له في هذه الدنيا وما يلبث أن يتركه ذاهبًا إلى ربه.

---

(٢) حسن: رواه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢١٠/١٠) بإسناد جيد، كما في «صحيح الجامع» للألباني (٦٠٢٦/٢).

وأنت يا طالب الآخرة تستطيع أن تشتري صفقة كبيرة من القصور الفاخرة المأهولة بحورها وبساتينها وأنت على سريرك؛ (فدور الجنة تبنى بالذكر والعمل الصالح فإذا أمسك الذاكر عن الذكر أمسكت الملائكة عن البناء... فيقال لهم [ابنوا] فيقولون: حتى تأتينا نفقة)(١).

قال ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ عَشْرَ مَرَّاتٍ بَنَى الله لَهُ بيتاً فِي الجَنَّةِ**»(٢).

«**مَنْ قَالَ سُبْحَانَ الله الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ. غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الجَنَّةِ**»(٣).

---

(٣) «الوابل الصيب» لابن القيم (ص:١٠٩).

(١) صحيح: صحيح الجامع و «الصحيحة» رقم (٥٨٩).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٣٦٠٢) وقال: «حديث حسن صحيح غريب»، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٦٤٦٥).

فكيف بك أخي الكريم... إذا قمت من سريرك وتوضأت وصليت أو تصدقت أو صمت وما إلى ذلك من أعمال صالحة؟ إنك بلا شك ستكون من الفائزين كما وعد بذلك ربنا جل وعلا.

الحرص على الحسنة..

إن من الفطنة والكياسة أن يجتهد الإنسان في عبادة ربه على وعي، فيحرص على رضا ربه ﷻ، ونيل الحسنة حرصه على ماله وأكثر.

فيكون حريصًا على اقتناء الحسنة وحرصه على مضاعفتها أشد، فقد رغبنا الله ورسوله في الازدياد من العبادات تطوعًا ببيان أجور بعض الأعمال، وذلك بعرضها بأنواعٍ عدّة، وبسطها على أوجهٍ مختلفة للتشويق والترغيب ولزرع قيمة للحسنة في النفوس ولبيان قيمة العمل وفضله عند الله،

فمن ذلك:

١- **بيان عدد الحسنات:** كما قال ﷺ: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟**». فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ قَالَ: «**يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ**»[١]. وقال ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ؛ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لاَ أَقُولُ: ﴿الٓمٓ﴾ حَرْفٌ، وَلَكِنْ: أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلاَمٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ**».

٢- **البشارة بالجنة:** ورفع الدرجة، أو ما يتحصل عليه فيها؛ فقد ورد عنه ﷺ أنه قال: «**مَنْ قَالَ:**

---

(١) رواه مسلم (٢٦٩٨).

سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ. غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الجَنَّةِ» [1]. وقال: «**مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّى لله كُلَّ يَوْمٍ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعًا غَيْرَ فَرِيضَةٍ؛ إِلاَّ بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الجَنَّةِ، أَوْ إِلاَّ بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي الجَنَّةِ»** [2]، كما قال ﷺ: «**مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ** [3] **دَخَلَ الجَنَّةَ»** [4].

٣- **المماثلة في الأجر**: كقوله ﷺ: «**مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ؛ غَيْرَ أَنَّهُ لاَ يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ**

---

(١) صحيح: وسبق تخريجه (ص:١٠٣).

(٢) رواه مسلم (٧٢٨) «صلاة المسافرين».

(٣) البردين: الفجر والعصر.

(٤) رواه البخاري (٥٧٤) «مواقيت الصلاة»، ومسلم (٦٣٥) «المساجد».

الصَّائِمِ شَيْئًا»[1]، وقوله ﷺ: «مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ»[2].

٤- **بيان فضل العمل مقارنة بغيره:** وذلك كقوله ﷺ في سورة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ «تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»[3].

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٨٠٧)، وابن ماجه (١٧٤٦) وصححه الألباني.

(٢) رواه البخاري (٨٨١) «الجمعة»، ومسلم (٨٥٠) «الجمعة».

(٣) رواه البخاري (٥٠١٤) «فضائل القرآن»، ومسلم (٨١١) «صلاة المسافرين».

٥- **بمحو الذنوب والخطايا:** كقوله ﷺ: «**مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ؛ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ**»(١).

٦- **بإخفاء الأجر**: وذلك لبيان عظمته كقوله ﷺ في الصوم: «**كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: إِلاَّ الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِى بِهِ**»(٢)، فبين هنا أن الصوم أفضل من المضاعفة إلى سبعمائة ضعف.

٧- **بضرب المثل**: قال ﷺ: «**أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ بِفِنَاءِ أَحَدِكُمْ نَهْرٌ يَجْرِى يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ**

---

(١) رواه مسلم (٢٤٥) «الطهارة».

(٢) هو جزء من حديث رواه مسلم (١١٥١).

مَرَّاتٍ، مَا كَانَ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ؟» قَالُوا: لاَ شَيْءَ. قَالَ: «**إِنَّ الصَّلَوَاتِ تُذْهِبُ الذُّنُوبَ كَمَا يُذْهِبُ الْمَاءُ الدَّرَنَ**»(١).

٨- **تثمين وتقويم الحسنة بقيمة مادية محسوسة في الدنيا:** وذلك للتقريب والمفاضلة بين البدائل المختلفة؛ وذلك كما قال ﷺ: «**أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلاَ قَطْعِ رَحِمٍ**». فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ! نُحِبُّ ذَلِكَ. قَالَ: «**أَفَلاَ يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمَ أَوْ يَقْرَأَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلاَثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلاَثٍ،**

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٥٢٠)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٦١٤).

وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الإِبِلِ» [1].

٩- **بيان الخيرية أو السبق للعامل:** كقوله ﷺ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»** [2]، أو قوله: «**سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ»**. قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ»** [3].

١٠- **باستحقاقه لشفاعة الرسول أو القرآن أو غير ذلك:** كقوله ﷺ: «**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ»** [4].

---

(٢) رواه مسلم (٨٠٣) «صلاة المسافرين».

(١) رواه البخاري (٥٠٢٧) «فضائل القرآن».

(٢) رواه مسلم (٢٦٧٦) «الذكر والدعاء».

(٣) رواه مسلم (٨٠٤) «صلاة المسافرين».

١١- **بصلاة الملائكة واستغفارهم له:** كقوله ﷺ: «**الْمَلاَئِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلاَّهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ، تَقُولُ: اللهمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللهمَّ ارْحَمْهُ**»(٤).

١٢- **ببيان موقع العمل من الله** ﷻ، **ورضاه عنه:** كقوله ﷺ: «**إِنَّ الله يُحِبُّ مِنْ العَامِلِ إِذَا عَمِلَ أَنْ يُحْسِنَ**»(١).

وقوله: «**يَعْجَبُ رَبُّكُمْ مِنْ رَاعِي الْغَنَمِ فِي شَظِيَّةٍ يُؤَذِّنُ بِالصَّلاَةِ وَيُقِيمُ**»(٢).

---

(٤) رواه البخاري (٤٤٥) «الصلاة».

(١) حسن: رواه الطبراني في «الكبير» (١٩٩/١٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٣٥/٤)، وحسّنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٨٩١).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (١٢٠٣)، والنسائي (٦٦٦)، وأحمد (١٦٨٦١) واللفظ له، صححه الألباني.

فمن العبادات ما بيَّن أجرها الشارع ووضحه ترغيبًا، ومنها ما أخفاه وخبأه لحكمة وكرامة للمؤمن ليفاجئه بالأجر الجزيل في الآخرة، فليكن للمسلم في كل نوع من العبادات نصيب، فلا يقتصر على نوع من العبادة دون غيره، حتى يُدعى من أبواب الجنة الثمانية، وعليه أن يسعى جاهدًا أن يضاعف من حسناته، فقد يُضاعف العمل وإن كان قليلًا في زمن معين ومكان معين.

ففي الحرمين الشريفين تضاعف الحسنات فالحسنة بمكة بمائة ألف حسنة، وألف حسنة في مسجد رسول الله ﷺ، كما ذهب إلى ذلك بعض أهل العلم وقد ورد في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: «يا بني اخرجوا من مكة حاجين مشاة حتى ترجعوا إلى مكة مشاة؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الحاج الراكب له بكل خطوة تخطوها راحلته سبعون حسنة، وإن الحاج الماشي له بكل خطوة يخطوها سبع مائة حسنة من حسنات الحرم**»، قيل: يا رسول الله، وما حسنات الحرم؟

قال: «**الحسنة بمائة ألف حسنة**»[(١)].

فهل علمت يا أخي المسلم أن أجر الصلوات الخمس في اليوم الواحد في الحرم المكي يساوي أجر خمس ملايين صلاة؟ فحينما فرض الله خمسين صـلاة على أمـة محمد ﷺ ثم خففها إلى خمس صلوات جعل كل صلاة بعشر صلوات في الأجر فيحصل المؤمن برحمة الله في اليوم الواحد على

---

(١) رواه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥٢٧٨) وقال: «رواه البزار، والطبراني في «الأوسط» و«الكبير» بنحوه وفيه قصة. وله عند البزار إسنادان أحدهما فيه كذاب، والآخر فيه إسماعيل بن إبراهيم عن سعيد بن جبير، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات»، ورواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٣٣١/٤)، والحاكم في «المستدرك» (٦٣١/١) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه»، ورواه ابن خزيمة في صحيحه وقال: «إن صح الخبر فإن في القلب من عيسى ابن سواده»، وقيل: عيسى بن سواده مجهول وباقي رجاله ثقات.

أجر خمسين صلاة وذلك كما جاء في الصحيح: «**فَكُلُّ حَسَنَةٍ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا ، فَهْيَ خَمْسُونَ فِي أُمِّ الْكِتَابِ، وَهْىَ خَمْسٌ عَلَيْكَ**»[1]، فإذا ضربت الخمسون صلاة في مائة ألف كان حاصل الضرب خمسَ ملايين صلاة، وإن كان هذا أجر الصلاة في ذلك المكان المبارك فإن أجر الحسنة الواحدة كقراءة الحرف الواحد من القرآن يساوي: حسنة واحدة × ١٠ (أمثالها) × ١٠٠,٠٠٠ =١٠٠٠٠٠٠ مليون حسنة.

ومن الطُّرُقِ المُثلى لمضاعفة الأجر أن تنظر في الطاعة التي تهم بأدائها كقراءة القرآن، مثلًا، فإذا قرأته أخذت على الحرف عشر حسنات فإن قرأته على وضوء ضوعف الأجر وإن قرأته مستقبلًا القبلة زاد الأجر وإن قرأته في صلاة زاد أكثر وأكثر، والله يضاعف لمن يشاء.

---

(١) هو جزء من حديث طويل في البخاري (٧٥١٩) «التوحيد».

ومن أوقات مضاعفة الأجر استغلال أوقات الغفلة؛ وهي التي يكون الناس فيها لاهين أو منهمكين في أمور دنياهم, فتذكر الله في نفسك أو تصلي فيضاعف لك أجر تلك العبادة أكثر مما لو أديتها في وقت انتباه الناس وأدائهم للعبادة وهذه الأوقات مثل: أوقات اجتماع الناس على اللهو، أوقات النوم، والتسوّق فانظر إلى الأجر العظيم عند ذكر الله في السوق مثلًا وقس على ذلك فقد قال ﷺ: «**مَنْ دَخَلَ السُّوقَ فَقَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ، بِيَدِهِ الخَيْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَتَبَ اللهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ، وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ**»(١).

---

(١) حسن: سبق تخريجه (ص:٨٩).

الحرص على الحسنات أن ينتقص منها الشيطان

ما فتئ الشيطان يفسد على العبد عبادته ويحاول جاهدًا أن يُنقِص له من أجرها؛ وذلك بصرف قلبه عنها فلا يخشع فيها، أو يوسوس له في أمور الدنيا فيشغل فكره أثناء تأديتها, أو يدخل الرياء إلى قلبه وحب المحمدة من الناس.

فتخيل لو أنك عملت في التجارة مثلًا وربحت ملايين الأموال ثم استغفلك أحد اللصوص فاستولى على معظم ما في خزانتك من أموال، إن من الناس من ينتحر والعياذ بالله، لمثل هذا المصاب لشدته عليه وقهره على ذهاب أمواله التي جمعها وجاهد في سبيل الحصول عليها، وإن مثل الشيطان كمثل هذا اللصّ فتخيل أنك تحصل على مليون حسنة عند صلاتك في الحرم المكي مثلًا فيوسوس لك الشيطان فيفسدها عليك فلا تحصل على ما يحصل عليه غيرك فيها، فقد تخرج من صلاتك بعدّة

آلاف من أصل ملايين الحسنات، بل قد يسرقها كلها إن لم تكن حريصًا عليها ثم لا يكون حزنك إلا يوم العرض الأكبر حينما تكتشف ضياع ثروتك فتبكيها حيث لا ينفع البكاء.

النظرة الشمولية إلى الدنيا

من الحكمة النظر إلى ما يواجهنا من أمور نظرة شمولية تستوعب الأمر بأكمله، على نطاق واسع ومن جميع جوانبه، فلا يحدق المرء بنظره إلى زاوية من الزوايا أو نقطة من النقاط المهمة في نظره، فيطلق الحكم عامًا على الكل بالنظر إلى الجزء ولابد أن يكون هذا ديدنه في حل مشاكله.

فكثير من الناس تنقصهم الحكمة والنظرة البعيدة، فنرى أحدهم إذا أراد بناء منزل على سبيل المثال فإنه ينظر فيما بين يديه من أموال فإن كانت كافية لتكاليف شراء الأرض ثم تكاليف البناء والتأثيث شرع في البناء، وسعى لامتلاك ذلك المنزل، فمثل هذا لا يكون دارسًا للأمر من جميع جوانبه، فلا تزال هناك تكاليف يجب النظر إليها وهي تكاليف صيانة هذا البناء وتشغيله، فالبناء إن كان كبيرًا يستوجب مبالغ باهظة لصيانته (صيانة كهرباء ـ تكييف مركزي إن وجد ـ ماء ـ سباكة ـ

حمام سباحة وما إلى ذلك) ثم هل تستطيع ربة المنزل إدارة هذا البناء كله بمفردها، فلابد له من تكاليف أخرى لتشغيله وذلك بجلب الخدم للعناية به وتنظيفه، فعليه أن ينظر إلى مصدر رزقه إن كان قادرًا على اقتطاع مبالغ سنوية منه للصيانة والتشغيل وإلا عدل عن ذلك متبعًا المثل الشعبي القائل (مدّ لحافك على قد رجليك) فإن كثيرًا من الناس ينظر في إمكانية امتلاكه لهذا المسكن فحسب، ولا ينظر إلى ما وراء ذلك، فإن استطاع أن يمتلكه، دفع فيه كل ما يملك، بل ربما استدان من الآخرين لامتلاكه، ثم تجده بعد ذلك يعاني من ضيق ذات اليد، فيقتّر على نفسه وعلى من يعول، ومنهم من يضطر إلى بيعه بأبخس الأثمان، فهل من الحكمة فعل ذلك؟

مثال آخر... انظر إلى مرتكب الفاحشة أو شارب الخمر تجد نظرته في دراسة الأمر تتوقف عند نقطة اللذّة، وتعمى عينه عما وراء ذلك أو يتغافل عنه فلا يتنبه للأمر إلا بعد فوات الأوان.

إن من الخطأ بل من الحمق النظر إلى جانبٍ من الأمر وترك سائر متعلقاته، كما أنه من الخطأ

النظر إلى الفوائد والتكاليف اللحظية والتغافل أو نسيان الفوائد والتكاليف المستقبلية، فلكي نتخذ القرار السليم بشأن أمر معين أو مشكلة ما لابد من النظر إليها من كافّة جوانبها وزواياها ثم النظر إليها مرة أخرى عن قرب وعن بعد، نظرة عامة، منصفة, شاملة، ثم النظر إلى ما قد نجنيه منها من فوائد لحظية (وقتية) ومستقبلية، ومن فوائد مباشرة وغير مباشرة، محسوسة ومعنوية.

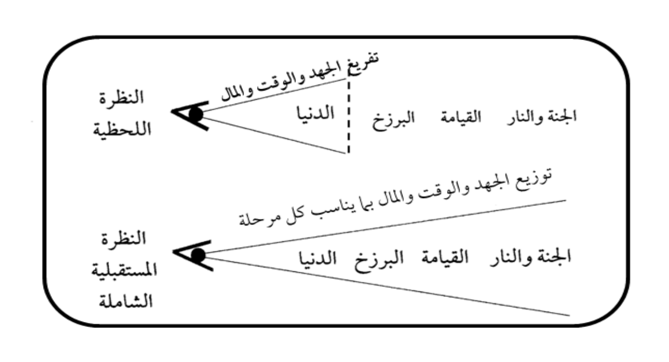
ثم عمل مقارنة بين الفوائد والتكاليف الحقيقية خلال العمر الافتراضي للشيء ككل.

بعد ذلك ينبغي النظر إلى ما نملك من موارد من مال ووقت وجهد ومدى كفايتها لتغطية متطلبات المشكلة، ثم المقارنة بين البدائل الأخرى والتفاضل بينها على أسس ذكرناها سابقًا وهي التي تعطي الفائدة الأكبر والتكلفة الأقل على مدى العمر الافتراضي للبديل، ثم بعد جلاء الأمر ووضوحه يتم اتخاذ القرار بناءً على ذلك كله.

فالنظرة اللحظية تؤدي إلى دراسة المنافع والتكاليف التي تحصل في بداية الشيء ولمدة قصيرة من الزمن.

أما النظرة المستقبلية فتؤدي إلى دراسة المنافع والتكاليف التي تحصل على مدار العمر الافتراضي كله لذلك الشيء.

وهذه هي الطريقة المثلى لإيجاد الحلول السليمة في جميع المشاكل صغيرها وكبيرها، كما أنها تنطبق على حل المشكلة الكبرى أو المسألة الكبرى التي نحن بصددها والحديث عنها، ألا وهي مشكلة الحياة (إن صح التعبير) فانظر إلى الشكل التالي بتمعّن:



بالنظر إلى المشكلة نظرة شمولية عامة وإلى ما لدينا من موارد لحلها ، نجد أن تصرف البعض منا تجاه معيشته في الحياة الدنيا والحياة الأبديّة كلها على المدى البعيد ، تصرّف لا يصدّق، فهو لا يصدر إلا عمن نتهمه بالجنون أو بالخلل العقلي، فماذا نقول لمن أراد أن يسافر من مكة إلى المدينة

فجمع أمتعته وركب سيارته واتجه نحو المدينة ينوي المعيشة والقرار بها، وقبل أن يصل، توقف في قرية قريبة فجمع أمواله واشترى ما يلزم من مواد البناء من طوب وحديد وشرع في البناء ثم الزخرفة وتأثيث المنزل، وإذا سُئل أين وجهتك الأساسية يقول: إلى المدينة ولكني أنوي المقيل هنا، إن هذا بالطبع سيتهمه الجميع بالسفه والجنون.

أخي الكريم.. لا تعجب من هذا فكثير من الناس في عصرنا هذا بعقلائهم ومفكريهم وسادتهم وأولي الرأي والمشورة يفعلون فِعله، إلا من رحم الله.

فقد توجّهوا بثقلهم وما يملكون من مال وجهد ووقت إلى حقبة من الزمن وبقعة في طريق الحياة الطويل سوف يمكثون فيها مدّة قصيرة من الزمن وأفرغوا بها جلّ ما يملكون من موارد وتركوا ما

سوف يعيشون فيه أبد الآبدين.

بل إن هذا الرجل ربما يكون أفضل حالًا من هؤلاء لأن نسبة الساعات التي سيمكثها في القرية تُقاس إلى نسبة ساعات عمره التي سيقضيها في المدينة ولو بنسبة ضئيلة جدًا فنستطيع إيجادها بعملية حسابية، أما أولئك الذين اقتصروا على الحياة الدنيا أو جعلوا معظم تركيزهم عليها فنسبة مكوثهم بها لا يقاس ولا يقارن إلى نسبة العمر اللانهائي، وهو حياتهم الأبدية بعد ذلك فلا نستطيع إيجاده بعملية حسابية لأنه لا سبيل إلى مقارنته.

وقد كانت نظرة رسول الله ﷺ وصحابته الكرام إلى الدنيا كأنها بقعة ظل في طريق مسافر يستظل فيها، وما ذلك إلا لأنهم عرفوا حقيقة الدنيا وحياتهم فيها بالنسبة إلى حياتهم الأبدية اللانهائية

فنظروا إليها تلك النظرة الشاملة.

فقال ﷺ: «**مَا لِي وَمَا لِلدُّنْيَا؟ مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلاَّ كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا**»(١)، إنني بهذا لا أدعو إلى التقشف وترك ملذات الدنيا التي أباحها الله، ولكنني أدعو إلى النظر إليها نظرة كلية فاحصة والعمل على إثر ذلك بما يتناسب وتلك النظرة.

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٣٧٧) وقال: «حسن صحيح»، وابن ماجه (٤١٠٩)، والبيهقي في «الشعب» (٣١١/٧)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٦٦٨).

كيف تصبح حكيمًا في اتخاذ قراراتك؟

هناك ست خطوات مهمة عند اتخاذ أي قرار:

١- تعريف المشكلة:

وذلك بجمع المعلومات عنها وتعريفها وتحديد أبعادها وجوانبها من ناحية الزمان والمكان.

٢-وضع الأهداف:

قد يكون الهدف بيئيًا مثلًا أو اجتماعيًا أو أمنيًا أو لزيادة الكفاءة وقد يكون الهدف هدفًا ترفيهيًا أو



هدفًا اقتصاديًا بحتًا.

ولابد عند وضع الأهداف من التركيز على هدف واحد رئيس، وجعل بقية الأهداف -إن وجدت- وسائل فيسعى إلى تحقيق ذلك الهدف الأهم، أولًا لأن تعدد الأهداف لا يُحقق الحل الأمثل للمشكلة.

٣-تعريف وحدة القياس:

فإن كان الهدف هدفًا اقتصاديًا فوحدة قياسه هي العملة، كالريال أو الدولار مثلًا.

وإذا كان الهدف بيئيًا كانت وحدة قياسه هي درجة التلوث مثلًا.

وإذا كان الهدف أُخرويًا فإن وحدة القياس هي الحسنة بعد رضوان الله سبحانه.

٤-تعريف البدائل المختلفة:

عند اتخاذ قرار ما لابد من النظر إلى البدائل الممكنة؛ فإذا أردت السفر إلى بلد معين فإن لديك في هذه الحالة العديد من البدائل والخيارات، فأنت إما أن تسافر بالطائرة أو بالسيارة أو القطار أو الباخرة.

وفي حالة تطبيق ذلك على الدار الآخرة فإن البدائل هنا في اختيار المسار المناسب الذي يتعيّن عليك أن تسلكه للوصول إلى نهاية المطاف (مسار الظالم لنفسه، المقتصد، أو السابق بالخيرات). انظر الشكل (ص:٣٥).

٥-تقييم كل بديل على حدة ثم المقارنة بين البدائل :

ثم على ضوء ذلك يتم اختيار البديل الأفضل الذي يكون هو الخيار الأمثل بالنسبة لتحقيقه للهدف المحدد سابقًا. وذلك بأن يُراعى فيه أن يكون الأقل تكلفة والأكثر فائدة لحظية ومستقبلية مباشرة وغير مباشرة، محسوسة وغير محسوسة ...إلخ.

مثـــال:

قد يكون هدف أحدهم شراء بضاعة معينة، وبنظرة سريعة فإنه قد يختار على الفور البضاعة الأرخص ثمنًا، ولكن قد لا يكون هذا الاختيار هو الأمثل، فلربما كانت هذه البضاعة هي الأرخص ثمنًا لحظيًا وهي في الحقيقة الأكثر ثمنًا مستقبليًا. فتكون سريعة العطب فيضطر إلى التخلص منها

وشراء أخرى سواها فضلًا عن ذهابه وإيابه في كل مرة لإصلاحها وبذل ماله ووقته وجهده فيما لو أنه اشترى النوع الجيد منذ البداية ولو كان أكثر ثمنًا لحظيًا إلا أنه سيكون الأقل تكلفة مستقبلًا.

فتكون بذلك تكلفة ومنافع الأولى والثانية كالتالي:

البضاعة الرخيصة		البضاعة الغالية الثمن	
المنفعة	التكلفة	المنفعة	التكلفة



١ـ رخيصة الثمن عند الشراء. ٢ ـ جيدة الأداء في البداية	١ـ قصيرة العمر الافتراضي. ٢ ـ كثيرة العطب. ٣ ـ كثرة التردد إلى الصيانة لإصلاحها. ٤ ـ الجهد والتعب والمال المبذول ٥ ـ الغضب والتأثير النفسي ٦ ـ اللجوء إلى شراء غيرها في النهاية	طويلة العمر جيدة الأداء. قليلة الصيانة توفير الجهد والمال الراحة النفسية.	غالية الثمن عند الشراء

بالمقارنة بين البضاعتين على المدى البعيد من حيث المنافع والتكاليف نجد أن البضاعة الغالية

الثمن أفضل من غيرها[1].

تفاهة الهدف وعِظم التكلفة:

سُئِلَ أحد المدخنين عن سبب اختياره لقرار التدخين فضحك وأجاب بعد تفكير: للتسلية!

دعونا نفنّد الآن هذه المشكلة:

المشكلة : هي التدخين أو عدم التدخين.

---

(١) هذا مجرد مثال ولكن هذا لا يعني أن البضاعة الغالية الثمن دائمًا هي الأفضل.

الاستثمار الأمثل وعوائده

الهدف : ترفيهي وهو التسلية.

وحدة القياس : هي الترفيه.

البدائل : هي اختيـار أشيـاء أخرى تدخـل السرور والترفيه حقيقة على النفس على المدى القريب والبعيد عن طريق النظرة الشاملة، والبدائل هنا اختيار التدخين أم عدمه.

تقويم كل بديل على حدة ثم اختيار الأمثل فيهما:

التدخين		عدم التدخين	
التكلفة	**الفوائد**	**التكلفة**	**الفوائد**

١ ـ المعاناة بعد السرور المؤقت	الترفيه والسرور	لا يوجد	حفظ الصحة
٢ ـ تكلفة مالية تقريبًا. ٥ ريال يوميًا × ٣٦٥ يوم × ٤٠سنة = ٧٣٠٠ ريال تقريبًا ٣ ـ مراجعة المستشفيات. ٤ ـ تكاليف للعلاج. ٥ ـ احتمالية الإصابة بأمراض القلب والرئتين والسرطان. ٦ ـ تعريض الحياة للموت. ٧ ـ التعرض للعقاب في الآخرة	لفترة زمنية محدودة		حفظ المال واستخدامه في ترفيه أفضل السلامة من العقاب الأخروي

هل يستحق هدف حقير كهذا كل هذه التكلفة؟!!..

٦-أما الخطوة السادسة في اتخاذ القرار فهي:

التقويم المستمر بعد ذلك وإمداد عملية التقويم بما يستجد على المشكلة من أمور تفرض تغيير الحل إلى بديل آخر.

أخي الكريم.. في بداية اتخاذك للقرار وفق هذه الخطوات الست، سوف تشعر أنك تتكلف الأمر وتتصنّع الحكمة، ولكن بعد الممارسة وكثرة المران ستجد أن ذلك أصبح ديدنك في جميع قراراتك.

فاتخاذ القرار السليم في بداية الأمر لن يكون سهلًا، فكثرة التعود ستكسب المرء الحكمة تلقائيًا ليجد نفسه يتصرف وفق هذه الخطوات الست عفويًا في جميع قراراته، صغيرها وكبيرها.

ولكن ليس كل من اتبع هذه الخطوات الست كان حكيمًا في قراراته، إذ لابد من التوضيح أن بعض العقول البشرية قد يحصل بها بعض الخلل والقصور في تعريف أحد هذه البنود الستة وذلك لحكمة يعلمها الله، فقد لا يضع حسابًا لعنصر الوقت مثلًا عند تعريف المشكلة.

وربما يتّبع جميع الخطوات بطريقة سليمة ولكن الهدف يكون تافهًا كمثال التدخين إذ جعل الهدف هو التسلية وعامل التسلية في الحقيقة لا يكون هدفًا في حد ذاته، فهو وسيلة لتحقيق هدف آخر وهو استعادة النشاط للعمل بأداء أفضل.

فلكي نضمن القرار الأمثل يجب ألا ننتقل من خطوة إلى التي تليها إلا بعد دراستها واستيفائها ووضع أهداف حقيقية تناسب التكلفة وذلك بمحاولة النظر إلى المشكلة نظرة مستقبلية شاملة.

خاتمة

إن القرارات العشوائية...

والأهداف التي يمليها علينا الهوى...

والحلول التي تنبع من نفس أمّارة بالسوء...

يؤيدها الشيطان بالتصفيق والمؤازرة

ما هي إلا تعريضٌ لحياتنا وحياة آخرين معنا للخطر.

أخي الكريم...

لا تجعل لهؤلاء سبيلًا إلى صنع قراراتك، فهم ليسوا أهلًا لذلك، وليكن صنعك للقرار نابعًا مما حباك الله به من عقل راجح، ودين راسخ، وضمير حيّ.

قال الشاعر:

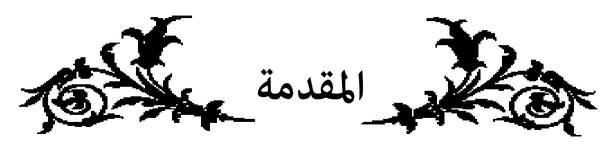
إني بُليت بـأربـعٍ مـا سُلِّطـــــوا * إلا لشـدّة شقـوتــي وعنـــــــائـي

إبليس والدنيا ونفسي والهوى * كيف السبيل وكلهم أعدائي

فالسبيل إذن هو تحكيم دينـك وعقـلك وضمـيرك في جميـع أمورك، وفقك الله.



الجزء الثاني
عوائد الاستثمار



المقدمة

الحمد لله الذي كرَّم من خلقه الإنسان، وبين له طريق الخير والإيمان، ويسّره له وجزاه باتباعه أشرف الجنان، وزيّنها، وخلق له فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب إنس ولا جان. وأصلي وأسلم على من جمع خير الخصال والشمائل الحسان، سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

وبعد..

فإن من أعجب الأمور أن يسمع سامع عن الجنة وما أعد الله فيها ثم لا يحرّكه داع الشوق إلى العمل لها والوصول إليها.

يسمع عنها صحابة رسول الله ومن تبعهم من السلف الكرام فيصبحون ويمسون وليس لهم

هاجس إلا نيلها وطلب نعيمها.

ونسمع عنها، ونتيقّن من وجودها، ونؤمن بها، ثم نضرب الذكر صفحًا عنها، غفلنا عن تخيّلها فغابت عن الأذهان، وما كان بعيدًا عن الذهن فهو منسيّ.

كيف نصحو من غفلتنا.. كيف نسمع كما ذلك الجيل الفريد ونبصر ببصائرهم... كيف نسمع عنها فلا نتحرّق شوقًا إليها كما يتحرّقون، ونذوب لرؤيتها لهفًا وحبًا كما يذوبون؟

إن رسول الله ﷺ حينما جاء بهذا الدين العظيم، ووعد متّبعيه بالجنان، كانت قلوبهم بالنسبة لما نحن فيه خاوية من علائق الشهوات، مصقولة من شوائب الأدران، سليمة من الآفات. فحريٌّ بمن سمع منهم ما يمنّيهم به الرسول الكريم أن يُلقوا ما بأيديهم ليتّبعوه. كذاك الصحابي الذي رمى

بتمرات كان يأكلها قائلًا: بخ بخ، ما بيني وبين الجنة إلا هذه التمرات فألقاها وذهب للجهاد فقاتل وقتل.

لقد نصب الصحابة الجنة في أذهانهم هدفًا لا يفارقهم، ينظر أحدهم إليه إذا عمل، وينظر إليه إذا قام أو نام، هاهو حارثة ﵁ سأله رسول الله ﷺ: «**كيف أصبحت يا حارثة؟**» قال: أصبحت مؤمنًا حقًا، قال: «**انظر ما تقول فإن لكل قول حقيقة فما حقيقة إيمانك؟**» قال: عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري، وكأني أنظر عرش ربي بارزًا، وكأني أنظر إلى أهل الجنة

يتزاورون فيها، وكأني أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها، قال: «**يا حارثة عرفت فالزم**»[١].

فإذا جسّد المرء الهدف الذي يعمل له تجسيدًا حسنًا وزيّنه في مخيّلته، كان حافزًا له على العمل، وباعثًا له على الإقدام، وإلا كان خبرًا غائبًا عنه، والإنسان بطبيعته يميل إلى ما يراه أكثر مما يسمع عنه، وقد قال ﷺ: «**لَيْسَ الْخَبَرُ كَالمُعَايَنَةِ؛ إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ أَخْبَرَ مُوسَى بِمَا صَنَعَ قَوْمُهُ فِي الْعِجْلِ فَلَمْ يُلْقِ الأَلْوَاحَ، فَلَمَّا عَايَنَ مَا صَنَعُوا أَلْقَى الأَلْوَاحَ فَانْكَسَرَتْ**»[٢]، ولم يكن موسى عليه السلام

---

(١) رواه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩٨١)، وفيه يوسف بن عطيّة وهو متروك. ولكن الحديث يستأنس به في هذا الشأن فإن صحابة رسول الله ﷺ كان هذا دأبهم في العزوف عن الدنيا والنظر بعين البصيرة إلى عظمة ربهم عز وجل وإلى جنته وناره.

(١) **صحيح**: رواه أحمد في «المسند» (٤٤٣/١ رقم: ٢٤٥١)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٣٧٤).

مكذبًا بما أخبره به ربه عز وجل وحاشاه، ولكنّ وَقْع الخبرِ عليه إذْ سمعه، لم يكن بقوة تأثيره عليه إذ عاينه. والجنة خبر من الأخبار لا يمكن رؤيتها في الحياة الدنيا وإلا لما بقي على وجه البسيطة كافر، وتلك حكمة الله سبحانه في إخفائها.

أرأيت كيف أن بعض المتاجر والشركات تعمد إلى اختيار (سيارة) جميلة المنظر، فارهةً، برّاقة، فتضعها أمام أبوابها مكافأة لمن يفوز في مسابقاتها بدلًا عن الإخبار عنها، حتى إذا رآها الناس تكالبوا على المتجر للشراء عسى أن يكون الفوز حليف أحدهم (١).

ولما كانت الجنة مكافأة مؤجلة، فإن على العامل أن يراها بقلبه ويضعها نصب عينيه ليحفّزه ذلك

---

(٢) وهذا الأسلوب نوع من القمار والميسر حذر منه العلماء فانتبه يارعاك الله.

على نوالها، وإلا أصابه الفتور، وأقعده الكسل، فإنها لما غابت عن الأبصار، رآها المتقون بالبصائر كما في حديث حارثة السابق رضي الله عنه.

وكلما تقرّب العبد إلى الله تكشّفت له تلك الغيبيات فرآها ببصيرته، لذلك فهو يعبد الله كأنه يراه[1].

فمن أهم الأمور تعريف الجنة ورسم صورة متكاملة لها في الخيال، وخاصة بعد الفراغ من قراءة هذا الكتاب، وتدعيمها بعناصر مشاهَدَة لدى المتخيّل كي يقربها منه ويربطها بحواسه، ولذلك أكثر الله تعالى من تعريف الجنة ووصفها في كتابه الكريم وقال عز وجل: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾

(١) أما التفكر في الله فلا يكون في ذاته ولكن تتضح عظمته في التفكر في مخلوقاته.

[محمد:٦].

قال الزمخشري: «حددها لهم»، وقال غيره: «عرفها لهم مرارًا ووصفها»، ويحتمل المعنى تعريفها من باب تعريف الضالة[١].

وقد استعان الرسول ﷺ في وصف الجنة بعناصر من الدنيا لتقريبها للسامع كقوله للأعرابي وهو يصف له شجرة طوبى: «**تُشْبِهُ شَجَرَةً بِالشَّامِ تُدْعَى الْجَوْزَةَ تَنْبُتُ عَلَى سَاقٍ وَاحِدٍ وَيَنْفَرِشُ أَعْلاَهَا**»[٢]، وكقوله وهو يصف له عِظَم حبّة العنب في العنقود: «**هَلْ ذَبَحَ أَبُوكَ تَيْسًا مِنْ غَنَمِهِ**

(١) انظر «تفسير القرطبي» و«تفسير الرازي» ولها معانٍ أخرى محتملة.
(٢) صحيح: رواه أحمد (١٧١٩٠)، والطبراني في «الكبير» (١٢٦/١٧)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٧٢٩).

قَطُّ عَظِيمًا؟». قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «**فَسَلَخَ إِهَابَهُ فَأَعْطَاهُ أُمَّكَ قَالَ: اتَّخِذِي لَنَا مِنْهُ دَلْوًا**»[١]، وبين له أن عِظَم الحبة من العنب كعظم ذلك الدلو.

فمن الأسباب المساهمة في عزوف الناس في عصرنا الحديث عن تذكر الجنة والعمل لها، عدم رسم صورة جميلة ومتكاملة عنها في الأذهان، وذلك بعد أن تطاول العهد وبعد الزمان، وبعد أن تراكم الرّان على القلوب، وغلّفتها الشهوات، وأسقمتها المعوقات والنزعات، وبعد أن سكن الناس المنازل الفاخرة، والقصور الباهرة، وبعد أن أضحى العالم كله قرية صغيرة، ورأى الناس جنان الدنيا كألمانيا وأمريكا وماليزيا وجزر هاواي وغيرها. ودخلت بيوتهم تلك الوسائل التي تعرض لهم

---

(٣) **صحيح لغيره**: وسيأتي تخريجه في فقرة الشجر والثمار.

أبهى الصور وأجمل المناظر.

أقول ومع ضعف إيمانهم، واسترسالهم في الملذات آثروا المكافأة العاجلة على الجائزة المؤجلة، وأخذوا ينظرون إلى الجنة بعين الممتلئ الشَّبعْ، الذي آثر الراحة بعد التُّخمة، فلو رحت تُمنيهم بالقصور، قالوا: عندنا، وبالأنهار والعيون، قالوا: رأينا، وبالبساتين والظلال، قالوا: ما أكثرها، أو حتى بالنساء الحسناوات، قالوا: مللناهن. إذ كيف لمن ملأ جوفه بلذيذ الطعام أن يفكّر في غيره ولو كان أطيب منه، وكيف لمن تشبع من شهواته أن يفكّر في غيرها حال شبعه. أضف إلى ذلك أن حرارة الإيمان بالله تعالى والشوق إلى لقائه والطمع في جواره، تضعف وتبرد بقدر إغراق الإنسان في دنياه ونسيانه لأخراه.

لعل ذلك يفسّر كيف كان صحابة رسول الله ﷺ ينظرون إلى الجنة ويشمرون لها، وكيف ينظر



إليها نَفرٌ منّا ويعزف عنها.

لقد كانوا ينظرون إليها على أنها مقعد صدق في جوار كريم، هو جوار الملك الواحد العظيم سبحانه وتعالى، وبعد ذلك كانوا ينظرون إليها بنفوس خاوية من الشهوات، وعيون لم ترَ الملذّات قياسًا لما نحن فيه، وقلوب متعطشة إلى ينابيع الهدى.

ولعل من آثر العاجل نسي نفاسة الآجل، وظن أن ما هو فيه مثل ما مُنّي به بعد أمد لا يعلم منتهاه.

لقد أغرت المدنيّة الحديثة كثيرًا من الناس، بهرت أبصارهم زخارفها، وأخذت بمجامع قلوبهم مفاتنها، حتى انساق وراءها الكثيرون مع أنه لا سبيل إلى مقارنة نعيمها بنعيم الجنة.

هاهو سن الشباب، تلك المرحلة الذهبيّة، والفترة الفتيّة من عمر الإنسان، والأطباء يسعون جاهدين في صنع العقاقير لإطالته، فكم يتمنّى كل شاب أن تقف عجلة الزمان به، والشيخ ينظر إليه كحلمٍ جميل ويتمنّى أن يعود الزمن به إلى الوراء.

ها هو عصر التقدم والترف الماديّ، والاكتشافات والاختراعات يعجز عن توفير أهم سبل الراحة.. إنه الأمن والأمان، فالغني يخاف على ثروته الضياع، والأب يخاف على أبنائه المصائب والكوارث، ورب المنزل يخاف عليه السرقات، والصحيح يخاف المرض، والمريض يخاف الموت.. خوف.. خوف أينما توجهت، وكلما كثر المال والمتاع كثر الخوف والرعب.

لقد توفرت شتى أنواع الملذات لأصحابها إلا أن كل لذّة يشوبها شائبة؛ فهذا يسبب السرطان، وهذا يرفع (الكلسترول) وذلك يزيد من معدّل ارتفاع الضغط، وذاك يجلب الإيدز والزهري والهربز



أعاذنا الله.

وقد توفرت جميع سبل الراحة ولكن كثرة الراحة تجلب الخمول وتؤدي إلى السمنة والبطالة وتجلب الأمراض حتى أصبح المرء إذا أكل قال: «بسم الله الذي لا يضرّ مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء»[(١)] لخوفه من مضرّة تلك الشهوة وإذا خرج للسياحة تعوذ بالله من شر كل ذي شر.. متاع يشوبه الهمّ والغمّ ويخالطه الخوف والهلع، إلا من أنعم الله عليه بالقرب منه والفرار إليه.

هل استطاعت المدنيّة الحديثة في ظل الجنان الوارفة والمناظر الخلاّبة، وسهولة الحياة، أن تزيح

---

(١) صحيح: رواه أحمد (١٧١٩٠)، والطبراني في «الكبير» (١٢٦/١٧)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٧٢٩).

عن كواهل أصحابها شبح الخوف، أو أن تؤمن لهم حياة بدون مرض، أو مجتمعًا بدون جريمة، أو ترفًا لا فقر بعده، أو شبابًا لا هرم يعقبه ولا موت يفنيه، ما أقصر هذه الحياة الدنيا التي يحرص الناس على تحصيل كل ما يشتهون فيها وهي لا تساوي في عمر الجنة لحظات.

إن الرجل في الجنة ليعانق زوجته عمر الدنيا، وإنه لتوضع المائدة بين يديه فلا ينقضي شبعه عمر الدنيا، وإنه ليضع الإناء على فيه فلا ينقضي ريّه عمر الدنيا[(١)].

---

(١) يؤثر مثل ذلك عن ابن عباس ﵄، انظر «بستان الواعظين ورياض السامعين» لابن الجوزي (ص:١٣٦). يؤيّده قول الرسول ﷺ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَّكِئُ فِي الْجَنَّةِ سَبْعِينَ سَنَةً قَبْلَ أَنْ يَتَحَوَّلَ**»، [انظر الحديث في فقرة الحور العين والغلمان]، وقول سعيد بن جبير: «إن شهوته لتجري في جسده سبعين عامًا يجد اللذة»، ألا تعدل هذه اللحظات عمره في الدنيا؟ وقول سعيد عزاه الزبيدي في «تخريج الإحياء» (٤٢١٧) لابن أبي شيبة بلفظ: «جسدها» بدلًا من «جسده».

فلنصحُ من غفلتنا، ولنفِقْ من رقدتنا قبل أن يفوت الأوان ويسبق السابقون إلى الجنان، ويبقى من ينظر في حسرة يقول: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون:٩٩-١٠٠]، ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر:٥٨].

المؤلفـــان

عوائد الاستثمار

أخي المسلم كيف بك إذا عُرضت عليك قطعة أرض في أجمل بقاع الدنيا.. أرض تتخللها أنهار جارية تنثر في أرجائها رذاذ المسك والطيب.. أرض تزينها الحدائق الغنّاء ذات الأشجار السامقة، والظلال الوارفة، والنخيل الباسقة، والخضرة المتراكبة، والثمر الناضج، والفواكه اللذيذة؟!

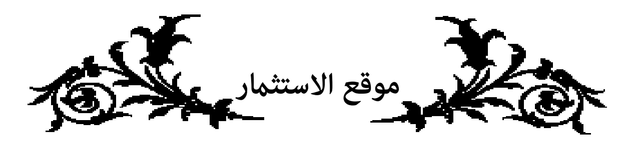
لعلك تتنهّد وتقول ليت لي أرضًا في ذلك المكان، ولو كانت مترًا أو بضعة أمتار. . فإنها في متناول يديك، وإن الله قد وعد كلا من عباده المؤمنين بها، بل وأقطعهم منها المساحات الشاسعة المترامية الأطراف، وأوقف عليها عمالًا من الملائكة يبنون، وليتك ترى مواد البناء، إنها لبنات

الزبرجد والياقوت وملاطها -الذي في مقام الأسمنت أو الطين- هو المسك الخالص، فما عليك إلا أن توفر ثمنها، وإن ثمنها دون ما تتصور بكثير، فلن تنفق في سبيلها الملايين ولن تضطر إلى الاقتراض من البنوك، أو تلجأ إلى امتلاكها بالتقسيط. إنه فقط مخزونك من الحسنات، فإن أردت بنيت بين تلك الخضرة الجميلة، والماء الرقراق خيامًا من اللؤلؤ المجوّف مجّهزة بما فيها من الفُرُشِ والحور الحسان، وإن شئت بنيت الغرف شفافة كالزجاج يُرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، مطلة على البساتين والأنهار، فإذا اتكأت على أريكة بها تشعر وكأنك وسط البستان وحولك الخضرة والماء، لا يعكّر صفوك عيون مارة أو تجسس المتطفلين، وإن أردت المزيد فلك

أن تشيّد القصور المنيفة والمباني الشامخة، على مداخلها صفوف الورد والريحان، حتى إذا دلفت إليها مشيت بين سماط الملوك والولدان المخلدون المصطفون لتحيّتك وتلقِّي أوامرك، فإذا دخلت استقبلتك الحور العين والغيد الحسان. قصورٌ تُبنى من أصناف الجوهر كله، فقصور من ياقوت وأخرى من زمرّد وأخرى من زبرجد، وأخرى من ذهب وأخرى وأخرى، فتبنى هنا، وتبنى هناك قصرًا تسكنه اليوم، وقصرًا تقيل فيه غدًا، وقصرًا لبعد غد، تتنقل بين القصور والغرف والخيام، فلا تمل ولا تسأم، فحياتك في متاع متجدد، ونعيم ما مثله نعيم، فاختر لنفسك، وابنِ، وأكثر من البناء، ابن لنفسك مُدنًا و ممالك من القصور والبساتين فأنت هناك ملِك متوّج وحياتك هناك لا



نهاية لها، و دور الجنة وقصورها تُبنى بالذكر والعمل الصالح. فهلمّ أخي الكريم نعاين معًا ذلك الموقع عن قرب.



موقع الاستثمار

هناك... فوق طبقات الجو المتراكمة... فوق السموات السبع...، حيث لا تظلك سماء، ولا تقلّك أرض، ولكن تقلّك الجنة، ويظلك عرش الرحمن، قال تعالى: ﴿ **عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ** ﴾.

[النجم:١٤-١٥].

وقال ﷺ: «**فَإِذَا سَأَلْتُمُ الله فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ**»(١).

---

(١) صحيح: وسبق تخريجه (ص:٢٥).

الطريق إليها

أخي الكريم.. قل لي بربك، كم تعبت وشقيت في هذه الدنيا لتستقر بضع سنين في بيت عمّرته للخراب، وبنيته للدمار. كم أنفقت وبذلت كي تستريح في الدنيا بقية عمرك الفاني. أكان الطريق إلى تلك الراحة القصيرة الأمد، المشوبة بالأنكاد ممهدًا وسالكًا؟. كأني أرى صدرك تنطلق منه زفرة طويلة، يحدثني أن لم يكن سالكًا ولا ممهدًا، لقد كان وعرًا مخيفًا.

انظر إلى بداية حياة كثير من الأغنياء.. ترى العجب.. فهذا كان بناءً بسيطًا يحمل الطوب على ظهره، وتغوص قدماه في الأسمنت والطين ثم أضحى مقاولًا بسيطًا، ثم ذاع صيته واتسعت دائرة أعماله حتى امتلك الشركات والمؤسسات، وذاك كان صاحب (بسطة) صغيرة يجلس على الرصيف

طوال يومه يحرّج على بضاعته ليشتري منه هذا وذاك، فيفرح بدرهم أو درهمين حتى جمع بعض المال وامتلك حانوتًا صغيرًا، ثم توسعت تجارته ليمتلك المراكز والأسواق الكبيرة.

هذا معن بن زائدة الرجل الغني المترف، يدخل عليه أحد الأعراب فيذكره بحاله التي كان عليها في بداية حياته فيقول له:

أتذكر إذا لحافك جلد شاة * وإذا نعـــــلاك مــن جلــد البعيـر

فسبحان الذي أعطاك ملكــًا * وعلّمك الجلوس على السريـر

ولو كنت منصفًا كمعن لقلت كما قال: «نعم أذكر ذلك ولا أنساه».

عجبًا لك يا ابن آدم كيف إذن تنال الدنيا بعد هذا الجهد الجهيد وتريد أن تحوز على نعيم الجنة التي لا تبيد دون عناء أو تعب.

كيف تستمرئ التعب والنصب، وتستلذّ الصبر للحصول على لذّة عابرة، أو شهوة زائلة، ثم لا تصبر على المشقة، ولا تتقبل التعب للحصول على اللذة الدائمة والشهوة المستمرة، ألم تسمع قول الشاعر:

ومن قلّ فيما يتقيه اصطباره * فقد قـل فيمـا يرتجيـه مُنـاهُ

فلا تظنن أن الطريق سالك وممهد، ولا تحسبنّه مفروشًا بالورد والزعفران.. ولكن إذا وصلت إليها فليس بعد ذلك إلا السعادة.. إلا النعيم.. إلا الراحة الأبدية.

هنيئًا لمن سبق

إذا نُفخ في الصور وقام الناس من قبورهم في فزع، فإن فريقًا من الناس(١) لا يصيبهم ذلك الفزع، ينفضون التراب عن أنفسهم يقولون: الحمد لله الذي أذهب عنّا الحَزَن يحشر الناس حُفاة عراة منهم من يُسحب أو يمشي على وجهه عياذًا بالله ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء:٩٧]، ومنهم من يمشي على رجليه وهؤلاء يحملون على النجائب(٢)، عليها رحال الذهب وأزمتها الزبرجد، فيقعدون عليها حتى يقرعوا باب الجنة، يركبون وغيرهم مشاة، يُكسون وغيرهم

(١) فريق المقربين وأولهم فقراء المهاجرين.
(٢) النوق البيض.

عراة[١] , يرتوون وغيرهم عطشى، يستظلون تحت العرش وغيرهم تلفعهم الشمس الحارقة، ويدخلون الجنة ويسبق بعضهم إليها قبل الناس بأربعين سنة، والناس في أرض المحشر يعانون الظُلمة والخوف، تدنو الشمس من رؤوسهم، يُمحى نورها ويضاعف حرّها عشر سنين[٢] .

فيقاسون حرارتها، يتضورون جوعًا، أجوع ما كانوا عليه قط، ويتلمظون عطشًا أعطش ما كانوا عليه قط، وقوفًا ينتظرون فصل القضاء، فينتظرون وينتظرون أربعين سنة وقيل أكثر من ذلك، والجليل سبحانه لا يكلمهم، ولا يعبأ بهم.

---

(٣) انظر كتاب «التذكرة» (٢٠١-٢٠٤) للقرطبي.
(١) انظر الحديث في كتاب «السُنَّة» للحافظ الشيباني (٨١٣)، ذكر الألباني أنه صحيح على شرط الشيخين.

حتى يبلغ بهم الخوف والحرّ مبلغه فيذهبون إلى آدم يستشفعون به عند الله فيقول: نفسي نفسي، اذهبوا إلى نوح ثم يذهبون إلى الأنبياء واحدًا بعد واحد وكل يقول نفسي نفسي حتى يذهبون إلى محمد ﷺ فيستأذن ربه فيؤذن له في ذلك المقام المحمود فيسجد عند العرش ويستشفع للناس عند ربه أن يأتي جلّ جلاله لفصل القضاء فينزل المولى ﷻ في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي وتنصب الموازين، ويبدأ الحساب فيمكثون في ذلك الموقف يحاسبون على قدر ذنوبهم في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة[1] ...**فهنيئًا لمن سبق.**

(١) للإفادة انظر «حادي الأرواح» لابن القيم (ص٢٧٨-٢٨٢)، وانظر «صحيح الترغيب والترهيب» (٧٤٩)، وانظر «المستدرك» للحاكم (٢٤٣٠)، وهو حديث صحيح على شرط الشيخين، وذكره الألباني في «صحيح الجامع» (٩٦).

الأبواب تُفتح لك



في الصحيحين: «**فِي الجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ، فِيهَا بَابٌ يُسَمَّى الرَّيَّانَ، لاَ يَدْخُلُهُ إِلاَّ الصَّائِمُونَ**»[١]، وحديث: «**مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ الله؛ نُودِيَ فِي الجَنَّةِ: يَا عَبْدَ الله! هَذَا خَيْرٌ. فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلاَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ**»[٢].

---

(١) رواه البخاري (٣٢٥٧) «بدء الخلق»، ومسلم (١١٥٢) «الصيام».
(٢) رواه البخاري (١٨٩٧) «الصوم», ومسلم (١٠٢٧) «الزكاة» واللفظ له.

وفي حديث الشفاعة الطويل فيقول الله سبحانه : **«يَا مُحَمَّدُ! أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لاَ حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ»** [(١)] .

فهذا دليل أن في الجنة ثمانية أبواب رئيسية سوى الأبواب الداخلية في جميع الجنان وبعض أسماء هذه الأبواب هو باب الريان وباب الصلاة وباب الجهاد وباب الصدقة وباب للسبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب، وباب لبقية أمة محمد ﷺ وجميع الأمم السابقة.

---

(١) رواه البخاري (٤٧١٢) «تفسير القرآن»، ومسلم (١٩٤) «الإيمان».

وقد عدّد القرطبي في كتاب «التذكرة» أكثر من ثلاثة عشر بابًا منها: باب لبر لوالدين، وباب للراضين، وباب للكاظمين الغيظ، فقد تكون أبواب الجنّة هي المقسّمة على أعمال البرّ.

وأبواب السور هي المذكورة في حديث الشفاعة والله أعلم.

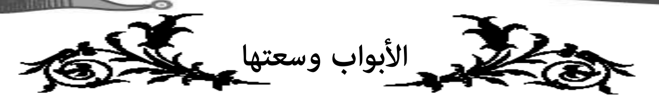
وقد سأل الصدّيق ﷺ رسول الله ﷺ: أن هل يُدعى أحد من تلك الأبواب كلّها؟ فقال ﷺ: «**نَعَمْ. وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ**»(١).

فما مغزى الدّعوة من تلك الأبواب كلّها؟ ولماذا لا يُكتفى بأحدها ما دامت كلّها موصلة إلى الجنة؛ إذن لابد أن هناك ميزة خاصة لمن ينال ذلك الفضل، ويحوز على ذلك الشرف.شرف الدعوة

(١) هو جزء من حديث في مسلم (١٠٢٧).

من جميع الأبواب إذ الدخول من هذه الأبواب هو مُتعةٌ في حد ذاته ففي كل واحد من النعيم ما يميّزه عن غيره.

فالله نسأل أن ينالنا وإيّاك ذلك الفضل...



الأبواب وسعتها

في الصحيح: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ؛ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ، كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى**»[1]، وفيه: «**إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهَا يَوْمٌ، وَهُوَ كَظِيظٌ مِنَ الزِّحَامِ**»[2].

فلأبواب الجنة مصاريع تفتح وتغلق وهي عظيمة السعة فقد ورد أن ما بين المصراعين مسيرة أربعين سنة وورد أنه كما بين مكة وهجر, وهذا التفاوت لتفاوت اتساع الأبواب , وأوسع الأبواب هو باب أمة

(١) رواه البخاري (٤٧١٢) «تفسير القرآن»،ومسلم (١٩٤) «الإيمان».
(٢) رواه مسلم (٢٩٦٧).

محمد ﷺ.

قال قتادة في صفة الأبواب: أبواب يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، تتكلم وتكلّم وتفهم ما يُقال لها، انفتحي، انغلقي، وللأبواب حِلَق، قال رسول الله ﷺ: «**أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَأْخُذُ بِحَلْقَةِ بَابِ الجَنَّةِ ولا فخر**»(١)، وفي حديث الشفاعة الطويل قال ﷺ: «**فآخُذُ بِحَلْقَةِ بَابِ الْجَنَّةِ فَأُقَعْقِعُهَا**»(٢)، وهذا صريح في أنها حلقة حسيّة تحرك وتقعقع، وبما أن الجنان بعضها فوق بعض

---

(١) حسن: أبو نعيم (٢/٢٨، ١٢٨)، وقال المحقق: إسناده صحيح على شرط مسلم، وروى نحوه الدرامي وغيره، وله شواهد كثيرة ذكرها الألباني في «الصحيحة» (١٥٧٠).

(٢) رواه الترمذي (٣١٤٨)، وصححه الألباني.

فالأبواب الثمانية بعضها فوق بعض وأعلاها أوسعها[1].

وجاء في وصف الأبواب عمومًا أنها مفتّحة، قال تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ﴾ [ص:٥٠]، وهذا يكون يوم القيامة إذا جاءها المؤمنون استقبالًا لهم وترحيبًا وهي تفتح كل رمضان قبل يوم القيامة ولأسباب أخرى منها ما قاله ﷺ: «**مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ؛ ثُمَّ رَفَعَ نَظَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فُتِحَتْ لَهُ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابِ مِنَ الْجَنَّةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ**»[2].

---

(٣) «حادي الأرواح» لابن القيم (ص:٤٩، ٥٠) بتصرف يسير.

(١) رواه مسلم (٢٣٤) «الطهارة» وهذا لفظ أحمد (١٢٢).

إن قوله تعالى: ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ يُشعر بالأمان فليس هناك ما يستدعي الإغلاق و﴿مُّفَتَّحَةً﴾ صيغة مبالغة من مفتوحة، فليس هناك كشف للعورات، أو خوف من عيون الفضوليين، أو تلصص المجرمين.

(وأيضًا فإن تفتيح الأبواب لهم إشارة إلى تصرفهم وذهابهم وإيابهم، وتبوئهم في الجنة حيث شاءوا، ودخول الملائكة عليهم كل وقت بالتحف والألطاف من ربهم، ودخول ما يسرّهم عليهم كل وقت...) [(١)].

---

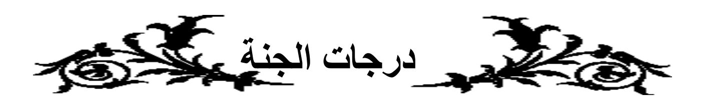
(١) «حادي الأرواح» لابن القيم (ص٤٥).

المسافة بين الأبواب:

ورد عن عاصم بن لقيط بن عامر أنه خرج وافدًا إلى رسول الله ﷺ فسأله يا رسول الله! فما الجنة والنار؟ قال: «**لَعَمْرُ إِلَهِكَ إِنَّ لِلنَّارِ لَسَبْعَةَ أَبْوَابٍ مَا مِنْهُنَّ بَابَانِ إِلاَّ يَسِيرُ الرَّاكِبُ بَيْنَهُمَا سَبْعِينَ عَامًا، وَإِنَّ لِلْجَنَّةِ لَثَمَانِيَةَ أَبْوَابٍ مَا مِنْهُمَا بَابَانِ إِلاَّ يَسِيرُ الرَّاكِبُ بَيْنَهُمَا سَبْعِينَ عَامًا**»(١).

---

(٢) رواه أحمد (١٥٧٧٣)،وروى أوله أبو داود (٣٢٦٦) في باب «الإيمان والنذور» من سننه، وضعفه الألباني وهو جزء من حديث طويل قال الحافظ ابن حجر وسند الحديث حسن.



درجات الجنة

للجنة درجات بعضها فوق بعض وما بين كل درجة والتي تليها مسيرة خمسمائة عام كما بين السماء والأرض وكما بين الكرسي والعرش كما بينت ذلك الأحاديث مع اختلاف المسافة في بعضها ويردّ ذلك ابن القيم ﵀ إلى اختلاف قوة السير للراكب والماشي.

وقد وضّح الرسول ﷺ بُعد المسافة بين كل درجة وأخرى في الحديث الصحيح بأن أهل الجنة يتراءون من هم أعلى منهم في الدرجات كالكوكب الغابر في السماء فقال ﷺ: «**إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنُ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا يَتَرَاءَوْنُ الكَوْكَبَ الدَّرِّيَّ الْغَابِرَ فِي الأُفُقِ مِنَ المَشْرِقِ أَوِ**

المَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ»(١).

وفي الحديث: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا الله لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ الله، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ»**(٢).

وقد ذكر ابن عباس ﷺ أن عدد درجات الجنة كثيرة جدًّا وربما تكون بعدد آي القرآن فقد ورد في الحديث أنه: «**يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ**

---

(١) رواه البخاري (٣٢٥٦) «بدء الخلق»، ومسلم (٢٨٣١) «الجنة وصفة نعيمها».

(١) رواه البخاري (٢٧٩٠) «الجهاد والسير».

آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا»[1]، وعدد آي المصحف يفوق الستة آلاف آية، هذا وقد جاء في بعض أنواع الذكر والأدعية المأثورة أن الله يجازي عليها بمئات وآلاف الدرجات في كل مرّة، فيبدو أن عدد درجات الجنة كثير جدًا يصل إلى ملايين الدرجات، والله أعلم.

قال ﷺ: «**مَنْ دَخَلَ السُّوقَ فَقَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكُ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ، بِيَدِهِ الخَيْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَتَبَ الله لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ، وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ**»[2]. فكلما ذكرت هذا الدعاء في السوق

(٢) صحيح: رواه أبو داود (١٤٦٤)، والترمذي (٢٩١٤)، وأحمد (٦٧٦٠)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٢٤٠).

(١) حسن: وسبق تخريجه (ص:٨٩).

ارتقيت ألف ألف درجة.

وبين ابن القيم أنه قد يكون هناك درجات كبار متضمنة لدرجات أخر. ولا عجب من كثرة الدرجات في الجنة فانظر إلى تفاوت الناس في طبقات المجتمع تجد تفاوتًا كبيرًا في درجات الفقر ودرجات من هم أعلى من درجة الفقر ثم متوسطي الغنى، ثم درجات الغنى، ثم درجات الغنى الفاحش: ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء:٢١].



أعلى الدرجات وسكانها

ذكرنا أن الجنة متفاوتة في الاتساع ومتفاوتة في النعيم كما أنها متفاوتة في العلو، وقد خص الله أولياءه الصالحين بأعلى الدرجات، وجعل أدنى الدرجات لمن هم أقل صلاحًا، وكلما ازداد المؤمن صلاحًا، ارتفعت درجته في الجنة، وذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن النجاة من النار بعفو الله، ودخول الجنة برحمته، واقتسام الدرجات بالعمل.

فمن أدنى أهل الجنة منزلة من يدخل النار ويمكث فيها بقدر ذنوبه ثم يخرج، وهؤلاء يسمّيهم أهل الجنة الجهنميين لأنهم دخلوا نار جهنم حتى نقوا ومحصوا من ذنوبهم ثم دخلوا الجنة، قال النبي ﷺ: «**يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بَعْدَ مَا مَسَّهُمْ مِنْهَا سَفْعٌ، فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ، فَيُسَمِّيهِمْ أَهْلُ الجَنَّةِ: الجَهَنَّمِيِّينَ**»[1]، ولكنهم يتضرعون إلى الله أن يمحو عنهم تلك السمة فيمحوها عنهم[2]، ثم يلي هؤلاء مرتبةً المقتصدون ولهم مسميات مختلفة وبعضهم أفضل من بعض فهم متفاوتون في الصلاح والدرجات، وقد أشار إليهم القرآن بألفاظ عدة وهي: (﴿**ٱلْأَبْرَارِ**﴾، ﴿**مُّقْتَصِدٌ**﴾، ﴿**أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ**﴾، ﴿**أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ**﴾، ﴿**خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا**﴾) فهؤلاء يسكنون الدرجات المتوسطة من الجنة.

---

(١) رواه البخاري (٦٥٥٩) «الرقاق».

(١) «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة» للقرطبي (ص:٤٢٩).

أما الذين يسكنون الدرجات العُلى من الجنة، جعلنا الله منهم، فقد أشار إليهم القرآن بلفظ: (﴿عِبَادُ ٱللَّهِ﴾، ﴿ٱلْمُتَّقُونَ﴾، ﴿ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾، ﴿ٱلسَّٰبِقُونَ﴾، ﴿سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾)، وهؤلاء منهم الأنبياء، ومنهم السبعون ألف أو السبعمائة ألف كما ورد في بعض الأحاديث، ومنهم الصالحون، والصديقون، والشهداء [١]، فهم كذلك متفاوتون في الدرجات، وإن في أعلى درجات الجنة من النعيم ما لا يوصف بالنسبة لأدناها..

كيف لا وهي التي غرس الله كرامتها بيده، وخلق ما فيها من أزواج وثمرات وأشربه، ثم أطبق عليها فلم يرها أحد من خلقه، لا نبي مرسل ولا ملك مقرّب، ثم قال لسائر الجنان: ﴿كُن﴾؛ فكانت.

«**حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ عِلِّيِّينَ لَيَخْرُجُ فَيَسِيرُ فِي مُلْكِهِ فَلا تَبْقَى خَيْمَةٌ مِنْ خِيَمِ الجَنَّةِ إِلا دَخَلَهَا مِنْ**

(٢) **الشهداء**: منهم المقربون، ومنهم المقتصدون أيضًا.

ضَوْءِ وَجْهِهِ، فَيَسْتَبْشِرُونَ بِرِيحِهِ، فَيَقُولُونَ: وَاهًا لِهَذَا الرِّيحِ، هَذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ عِلِّيِّينَ، قَدْ خَرَجَ يَسِيرُ فِي مُلْكِهِ» [(١)].

أما أعلى درجة في الجنة وهي التي لا تنبغي إلا لعبد واحد كما قال الصادق المصدوق عليه أفضل الصلاة والسلام، وهي درجة الوسيلة، وسميت بذلك لأنها قريبة من الرحمن فهي أقرب الجنان إلى العرش.

---

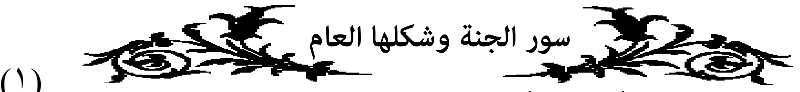
(١) حسن: جزء من حديث قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (١٧-٤/٩٣٤-٩٤٠): «رواه ابن أبي الدنيا، والطبراني، والحاكم، هكذا عن ابن مسعود، وآخره موقوف على كعب. وأحد طرق الطبراني صحيح، واللفظ له»، وقال الحاكم: «صحيح الإسناد»، وقال ابن القيم: «حديث كبير حسن»، وحسّن إسناده محقق كتاب «السُنَّة» لعبد الله بن أحمد بن حنبل (١٢٠٣-٢/٥٢٠-٥٢٤).

قال تعالى: ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾، فمعنى الوسيلة أي القريبة قال ﷺ: «**الْوَسِيلَةُ دَرَجَةٌ عِنْدَ اللهِ لَيْسَ فَوْقَهَا دَرَجَةٌ، فَسَلُوا اللهَ أَنْ يُؤْتِيَنِي الْوَسِيلَةَ**»[(١)].

وهذا يعني أن كل درجة في الجنة سوى هذه الدرجة قد تكون لعدد من أولياء الله فقد يشترك عدد من أهل الجنة في الدرجة نفسها كلٌّ له جنته أو مُلكه الخاص به فيها فالدرجة الواحدة عظيمة الاتساع وقد ورد أنه لو اجتمع فيها العالمون لوسعتهم[(٢)].

---

(١) صحيح: رواه أحمد في «المسند» (١١٥٢٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧١٥١)
(٢) انظر التفاوت في النعيم بين هذه الدرجات في فقرة: «أنواع الجنان».



سور الجنة وشكلها العام

قال ابن القيم: «والجنة مقببة أعلاها وأوسعها ووسطها هو الفردوس وسقفه العرش»[١].

ولعل كون الجنة مقببة يفسر كيف يكون أعلاها وأوسطها هو الفردوس، فأعلى القُبّة هو أيضًا أوسطها ومركزها، والله أعلم.

(والجنة درجات بعضها فوق بعض وكلّما علت الجنة اتّسعت فعاليها أوسع مما دونه)[٢].

وللجنة سور فهي مسوّرة بحائط يرى ظاهره من باطنه وباطنه من ظاهره كما هي حال الزجاج،

---

(١) «حادي الأرواح» لابن القيم (ص:٥٣).
(٢) المصدر السابق (ص:٥٠).

وفي الحديث: «إن الله أحاط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وغرس عرشها بيده, وقال لها: تكلمي فقالت: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾، فقالت الملائكة: طوبى لك منزل الملوك»[(١)].

وللحائط أبواب رئيسية عليها بوابون وخزنة ورئيسهم رضوان عليه السلام قال تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ [الزمر:٧٣].

قال رسول الله ﷺ: «**آتِى بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ:**

---

(١) رواه الهيثمي في«مجمع الزوائد» (٢٤٦٨١)، وقال: «صحيح موقوف»، وكذلك قال ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص:٢٤٩).

مُحَمَّدٌ. فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لاَ أَفْتَحُ لأَحَدٍ قَبْلَكَ»(١).

وقد بينت الآيات اتساع الجنة وأنها كعرض السماء والأرض أما الطول فالله أعلم به فلا يعلم عدد الدرجات وارتفاعها إلا هو سبحانه قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣].

مع أننا لا نعلم اتساع السماء والأرض على الحقيقة، ولكن ذلك يدلّنا على مدى اتساعها الشاسع فإذا كان ذلك هو العرض فكيف بالطول؟

لنقف هنا وقفة تأمل قصيرة، ولنقارن حجم الجنة بما توصل إليه علم الإنسان القاصر، لننظر إلى

(٢) رواه مسلم «الإيمان» (١٩٧).

الأرض وما حولها من كواكب وأجرام.

إننا إذا نظرنا إلى المجموعة الشمسية فإنها تبدو وكأنها أمر هائل أكبر من أن تحيط به تخيلاتنا، حيث يبلغ محيط الكرة الأرضية ٤٠٠٧٥ كلم ويبلغ قطر الشمس مائة ضعف قطر الأرض، وتبعد الكواكب بعضها عن بعض ملايين الكيلو مترات، فقد أرسل صاروخ إلى كوكب المشتري فبلغه بعد ثمانية عشر شهرًا، وتبعد الشمس عن كوكبنا بـ ١٥٠ مليون كيلو مترًا، كما تبعد عن كوكب المريخ بـ ٢٢٧ مليون كيلو مترًا ويبعد كوكب الزهرة عن الشمس مسافة متوسطها ١٠٨ مليون كيلو مترًا، ويبعد عطارد عنها بـ ٦٤٠ مليون كيلو مترًا، ومع ذلك فإن هذه المجموعة الشمسية ليست سوى ذرة ضئيلة إذا ما قورنت بالكون الشاسع الذي يحوي ملايين المجرات المتضمنة لملايين المجموعات

الشمسية أمثال هذه[١].

إن أبعد نقطة استطاع أن يراها الإنسان تصل من ١١-١٥ بليون سنة ضوئية في جميع الاتجاهات حول الأرض وذلك عبر الآلات الحديثة[٢]، وقد أحصى فيها العلماء مائة ألف مليون مجرّة مثل مجرتنا المعروفة بدرب التبانة فيها حوالي ٤٠٠ ألف مليون نجم كشمسنا[٣]، ومن المعلوم أن علم الإنسان لا يمثل سوى نسبة ضئيلة جدًّا لا تقارن بحقيقة حجم الكون والفضاء

---

(١) انظر «كل شيء عن الأقمار الصناعية وسفن الفضاء» لدافيد ديتز، ترجمة الدكتور جمال الفندي، ، ط.٧، (ص:٩٣-٩٩).

(٢) مجلة (**National Geographic**) عدد شهر أكتوبر ١٩٩٩م.

(١) مجلة «الإعجاز العلمي» عدد ٦ محرم ١٤٢١هـ، (ص:٨) بتصرف.

الخارجي، وهذا كله أيضًا لا يمثل شيئًا أمام حجم السموات الهائل فكيف وقد جمعت الجنة في اتساعها حجم السموات والأرض.وقد ورد أن الدرجة الواحدة لو اجتمع فيها الخلق كلهم لوسعتهم. ففي الحديث : «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ لَوْ أَنَّ الْعَالَمِينَ اجْتَمَعُوا فِي إِحْدَاهُنَّ لَوَسِعَتْهُمْ**»(١).

وأعلى الجنة تفجر منه البحار والأنهار فتنزل على ما دونها من الجنان ففي الحديث الذي سبق ذكره قال ﷺ: «**فَإذا سألتم الله فسلوه الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ، وَأَعْلَى الجَنَّةِ، و فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ**»(٢).

---

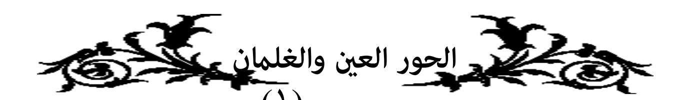
(٢) رواه أحمد في «المسند» ورقمه (١٠٠٢) والترمذي، وضعفه الألباني.

(١) صحيح : وسبق تخريجه (ص:٢١).

وقال «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ: بَحْرَ الْمَاءِ، وَبَحْرَ الْعَسَلِ، وَبَحْرَ اللَّبَنِ، وَبَحْرَ الْخَمْرِ، ثُمَّ تُشَقَّقُ الأَنْهَارُ بَعْدُ**» (١).

---

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٢٥٧١)، والدارمي (٢٨٣٦)، وصححه الألباني صحيح الجامع(٢١٢٢).



الحور العين والغلمان

وللرجال في الجنة جوارٍ، كما أن للنساء وصيفات[١]، فأهل الجنة ملوك على رؤوسهم التيجان وحولهم صفوف الخدم وهم الولدان المخلدون الذين جاء وصفهم في الآيات باللؤلؤ المنثور لجمالهم وصفاء بشرتهم. خلقهم الله من الجنة[٢] وجعلهم على درجة رفيعة من الجمال والحسن والخُلُق، ونساء الجنة والحور لا تحاسد بينهن ولا تباغض ولا غيرة ولا مكائد مطهرات من الأقذار متحببات إلى أزواجهن، ولكل في الجنة من الجواري والغلمان بحسب رفعته فيها وقربه من مالك الملك،

---

(١) انظر «بستان الواعظين» لابن الجوزي (ص:١٤٢).

(٢) وقد اختلف في الولدان أهم مخلوقون من الجنة أم أنهم أطفال المشركين الذين ماتوا قبل سن التكليف وذكر الألباني في الأحاديث الصحيحة أن: أطفال المشركين خدم أهل الجنة، والله أعلم.

فالجنان القريبة من الرحمن وهي جنان المقربين هي أكثر حورًا وغلمانًا، وفي كل يوم يفاجأ أهل الجنة بمزيد من الحور الحسان ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ﴾ [ق:٣٥].

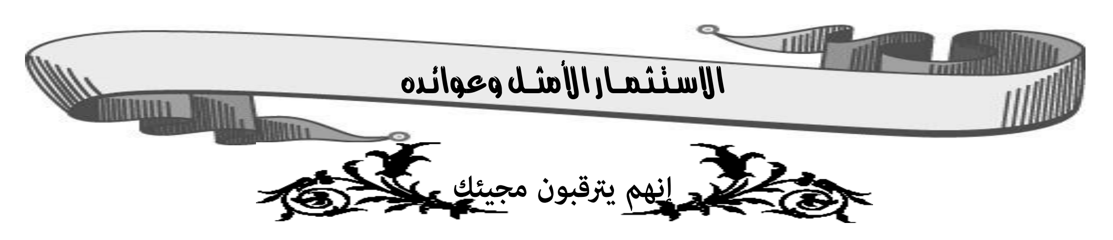
وفي الحديث الشريف: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَّكِئُ فِي الجَنَّةِ سَبْعِينَ سَنَةً قَبْلَ أَنْ يَتَحَوَّلَ، ثُمَّ تَأْتِيهُ امْرَأَتُهُ فَتَضْرِبُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ فَيَنْظُرُ وَجْهَهُ فِي خَدِّهَا أَصْفَى مِنَ الْمِرْآةِ، وَإِنَّ أَدْنَى لُؤْلُؤَةٍ عَلَيْهَا تُضِيءُ مَا بَيْنَ المَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، فَتُسَلِّمُ عَلَيْهِ. قَالَ: فَيَرُدُّ السَّلاَمَ وَيَسْأَلُهَا: مَنْ أَنْتِ؟ وَتَقُولُ: أَنَا مِنَ الْمَزِيدِ. وَإِنَّهُ لَيَكُونُ عَلَيْهَا سَبْعُونَ ثَوْباً أَدْنَاهَا مِثْلُ النُّعْمَانِ مِنْ طُوبَى، فَيَنْفُذُهَا بَصَرُهُ حَتَّى يَرَى مُخَّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ، وَإِنَّ عَلَيْهَا مِنَ التِّيجَانِ إِنَّ أَدْنَى لُؤْلُؤَةٍ عَلَيْهَا لَتُضِيءُ مَا بَيْنَ المَشْرِقِ**

وَالْمَغْرِبِ» [1].

ولكل مؤمن في الجنة زوجتان من نساء الدنيا سوى الحور العين، وأهل الجنة مستوون في السن أبناء ثلاث وثلاثين، وهم على صورة أبيهم آدم ستون ذراعًا في السماء في عرض سبعة أذرع حِسانٌ مردٌ مكحلون لو أن ظفر أحدهم بدا لأهل الأرض لطمس ضوء الشمس, ولتزخرف له مابين السماوات والأرض [2].

---

(١) ضعيف: رواه أحمد (١١٣١٨)، وابن حبان (٤٠٩/١٦)، وضعفه الألباني في «المشكاة» (٥٦٥٢).
(١) انظر البخاري (٣٢٥٧) ، وأحمد (٧٨٩٢)، والترمذي (٢٦٠١).



إنهم يترقبون مجيئك

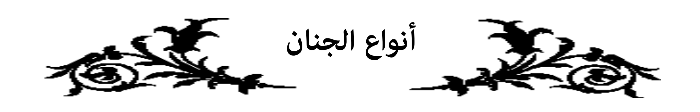
عند اقتراب موعد الدخول، تتهيأ الجنة وتزخرف، وتقفز قلوب الغلمان والحور طربًا لسماع الخبر، ويتلقّى كل غلمان صاحبهم يطوفون به فعل الولدان بالحبيب الحميم يقدم من الغيبة، يقولون أبشر قد أعد الله لك من الكرامة كذا وكذا. ويسبق غلمان من غلمانه إلى أزواجه من الحور العين فيقولون هذا فلان -باسمه في الدنيا- قد أتاكن، فيقلن ءأنتم رأيتموه؟ فيقولون: نعم، فيستخفّهنّ الفرح حتى يخرجن إلى عتبات الأبواب ينتظرن.

ويدخل المؤمن الجنة وإذا نمارق مصفوفة، وأكواب موضوعة، وزرابي مبثوثة فيتكئ على أريكة من أرائكه ويبهره بناء الجنة فينظر إليه يتأمله وإذا به قد أسس من لبنات جميلة متناسقة، فهذه خيمة

من لؤلؤة، وهذا قصر لبناته الذهب ويرى غرفًا من ألوان شتى أصفر وأحمر وأخضر فيرفع بصره إلى السقف فلولا أن قدّر له أن يتحمّل ضوءه لذهب ببصره. فيقول: الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله[1].

(١) يؤثر مثل ذلك عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، انظر «مصنف ابن أبي شيبة» (٨/٦٢-٢٩٧٩٢).





أنواع الجنان

في الصحيح : «**جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلاَّ رِدَاءُ الْكِبْرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ**»(١) .

ولك أن تتخيل يا أخي المسلم كيف تكون الجنة إذا كانت من ذهب أو فضة كلها، إن الجاهل قد لا يعجبه هذا التشبيه لقصر نظره فيظن أنه سوف يعيش داخل سبيكة من ذهب، ولكن أليست أجمل

(٢) رواه البخاري (٤٨٧٨) «تفسير القرآن»، ومسلم (١٨٠) «الإيمان».

جنان الدنيا هي في الأصل من التراب، آنيتهما وما فيها؟ وبالمقارنة انظر إلى بديع صنع الله في هذه الدنيا وأصل مادته التراب من أرض مخضرة وغابات كثيفة، ومناظر خلابة، وثمار وفواكهه مما لذّ وطاب، وجمال صور ابن آدم، حتى الآنية أليس الزجاج أصله من الرمل المذاب؟ أليست المعادن كلها من باطن الأرض؟ ومع ذلك فنحن مبهورون بجمال هذه الدنيا وما فيها وهي مخلوقة من تراب لا يساوي شيئًا,ولا سبيل إلى مقارنته مع ما كان خلقه من ذهب أو فضه.

إن ما يجب أن نعلمه عن هاتين الجنتين هو:

١ ـ أن مادتهما وكل ما فيهما مخلوق من الذهب والفضة[١].

---

(١) وذلك للحديث السابق المتفق على صحته.

٢ ـ أن ذهب الجنة وفضتها وكل شيء فيها لا يشبه بأي حال ذهب الدنيا وفضتها إلا تشابه الأسماء.

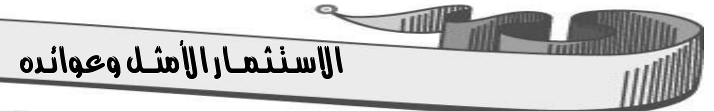
٣ ـ أنه إذا كانت مادّة الجنة هي الذهب فما فيها مخلوق منها، وإن كانت من الفضة فما فيها من الفضة كذلك، وإن كانت بعض المخلوقات لا تدل على ذلك في المظهر فقد قال تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ۝١٥ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ [الإنسان:١٥-١٦].

قال ابن عباس رضي الله عنه: «بياض الفضة في صفاء الزجاج، والقوارير لا تكون إلا من الزجاج، فهذه الأكواب من فضة وهي مع هذا شفافة يرى ما في باطنها من ظاهرها، وهذا مما لا نظير له في

الدنيا»[1]، وقد يكون مثل تلك القوارير من الذهب، فمن المخلوقات ما هو رقيق شفاف، ومنها ما هو سميك، ومنها ما هو بين بين، وقد روي أن سيقان الأشجار في الجنة من ذهب، ومنها ما يكون غير ذلك كالحور العين ودواب الجنة وغيرها، أليست مخلوقة منها فقد خُلق الإنسان وهو لحم ودم من التراب، وقد روي أن في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوّفة، وأن فيها من أصناف الجوهر كله، ولا تعارض في كون أصل مادته الذهب أو الفضة، أليست المعادن والجواهر في الدنيا من باطن الأرض فقد تكون كذلك في الجنة، والله أعلم.

وتختلف الجنان في نعيمها ومتاعها بحسب سكانها فانظر إلى الفرق بين المقربين وأصحاب

(١) «تفسير ابن كثير».



اليمين في الجدول السابق [١].

---

(١) الجدول في الجزء الأول (ص: ٢٢-٢٣).

تربة الجنة

عن أبي هريرة ﷺ، قال: قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله! الْجَنَّةُ مَا بِنَاؤُهَا؟ قَالَ: «**لَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ وَلَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ، مِلاَطُهَا الْمِسْكُ الأَذْفَرُ**[1]**، وَحَصْبَاؤُهَا الْيَاقُوتُ وَاللُّؤْلُؤُ، وَتُرَابُهَا الزَّعْفَرَانُ، مَنْ يَدْخُلْهَا يَخْلُدْ فِيهَا يَنْعَمُ لاَ يَبْؤُسُ، لاَ يَفْنَى شَبَابُهُمْ، وَلاَ تَبْلَى ثِيَابُهُمْ**»[2].

وقد ورد عدد من الأحاديث مجموعها يبيّن أن طين الجنة هو المسك الخالص الأبيض، وترابها الزعفران، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وصخورها الكافور.

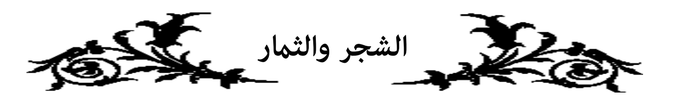
---

(١) أي: طينها المسك الخالص.

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٢٥٢٥)، وأحمد (٩٤٥١)، والدارمي (٢٨٢١)، وصححه الألباني في «المشكاة» (٥٦٣٠).

وقال ابن القيم ما مفاده: أن لا تعارض بين كون طينها المسك وترابها الزعفران، فربما تكون متضمنة للنوعين المسك والزعفران، أو أن ترابها الزعفران وإذا عجن بالماء صار مسكًا، كما قيل: أن حشيشها الزعفران وترابها المسك.

كما جاء في الحديث أن أرض الجنة درمكةٌ بيضاء، وجاء أنها مرمرة بيضاء من فضّة، وجاء أنها من ذهب فقد يكون ذلك لاختلاف الجنان.



الشجر والثمار

غراس الجنـة: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، ففي الحديث أن رسول الله ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِىَ بِهِ مَرَّ عَلَى إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ: «**مَنْ مَعَكَ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا مُحَمَّدٌ. فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: مُرْ أُمَّتَكَ فَلْيُكْثِرُوا مِنْ غِرَاسِ الجَنَّةِ؛ فَإِنَّ تُرْبَتَهَا طَيِّبَةٌ، وَأَرْضَهَا وَاسِعَةٌ. قَالَ: وَمَا غِرَاسُ الجَنَّةِ؟ قَالَ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِالله**»(١).

وقال ﷺ: «**لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِىَ بِي، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّى السَّلاَمَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ**

---

(١) **صحيح لغيره**: رواه أحمد (٢٣٠٤٠)، والطبراني، ووثقه ابن حبان وقال: «إسناده حسن»، وقال الألباني: «لا بأس به بما قبله».

الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ، عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ» [(١)]، فمن أراد أن يستكثر من الزرع فليكثر الذكر وفي الجنة أنواع شتى من النباتات ذات الرائحة الزكية والزهور الجميلة وذلك تفسير قوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الروم:١٥]، فالروض رياحين وزروع ونباتات شتّى وبين أنواع الزهر والورد [(٢)]، وفي الحديث: «**سيد ريحان** [(٣)] **الجنة الحناء»** [(٤)]، كما ثبت أن في الجنة أنواعًا من الأشجار منها ما له أشباه

---

(١) حسن: رواه الترمذي (٣٤٦٢)، وحسنه الألباني.
(٢) تفسير الطبري سورة الروم، الآية (١٤، ١٥).
(٣) الريحان كل نبات ذو رائحة زكيّة.
(٤) صحيح:رواه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣٦٧٨)، وصححه الألباني.

لمسميات أشجار الدنيا ومنها ما لا يعلمه إلا الله فمن أشجارها سدرة المنتهى، وشجر الطلح قيل هو الموز وقيل أنه شجر كثير الشوك فهو في الجنة كثير الثمر جعل الله مكان كل شوكة ثمرة، وشجرة الخلد والنخل وشجرة طوبى وأشجار تضيء وأشجار للظل وأشجار للرائحة وأشجار فاكهة مختلفة، وأشجارٌ تخرج الحلل والثياب التي يلبسها أهل الجنة وجاء في وصف بعض الشجر وعظم حجمه كثير من الأحاديث منها قوله ﷺ: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ الجَوَادَ المُضَمَّرَ السَّرِيعَ مِائَةَ عَامٍ، مَا يَقْطَعُهَا**»[(١)].

وشجرة طوبى هي الشجرة التي تخرج ثياب أهل الجنة قال ﷺ: «**طُوبَى. شَجَرَةٌ فِي الجَنَّةِ**

---

(١) رواه البخاري (٦٥٥٣) «الرقاق» واللفظ له، ومسلم (٢٨٢٦، ٢٨٢٧).

مَسِيرَةُ مِائَةِ عَامٍ، ثِيَابُ أَهْلِ الجَنَّةِ تَخْرُجُ مِنْ أَكْمَامِهَا»[١]، أما سيقان أشجار الجنة فمن ذهب قال رسول الله ﷺ: «مَا فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةٌ إِلاَّ وَسَاقُهَا مِنْ ذَهَبٍ»[٢].

وذكر بعض المفسرين أن فروع الأشجار مرتفعة حتى لا تؤذي، فإذا أرادوا من ثمارها دنت وقربت ثم ترتفع كما كانت وكلما نزع من ثمارها شيء عاد مكانه أفضل منه، ومن ثمار الجنة التمر والرمان والعنب والتين, وتتعدد الثمرة الواحدة في أصنافها وأشكالها ألا ترى ثمرة التفاح في الدنيا منها الأصفر والأحمر والأخضر والصغير الحامض والكبير الحلو، فثمار الجنة أكثر تنوعًا وأكبر حجمًا وهي لا تشبه ثمار الدنيا إلا في اسمها فقط، انظر إلى حجم النبقة في الدنيا لا يتعدى حجم

---

(١) حسن: رواه أحمد (١١٢٧٦)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٩١٨).
(٢) صحيح: رواه الترمذي (٢٥٢٤)، وأورده الألباني في «صحيح الجامع».

حبات البندق وهو في الجنة كما في الحديث: «**فَإِذَا نَبِقُهَا مِثْلُ قِلاَلِ هَجَرَ**»[1]، فكيف بالرمان وعناقيد العنب، فقد رُوي أنه جاء أعرابي إلى النبي ﷺ، فَسَأَلَهُ عَنِ الْحَوْضِ وَذَكَرَ الْجَنَّةَ، ثُمَّ قَالَ الأَعْرَابِيُّ: فِيهَا فَاكِهَةٌ؟ قَالَ: «**نَعَمْ. وَفِيهَا شَجَرَةٌ تُدْعَى طُوبَى**». فَذَكَرَ شَيْئًا لاَ أَدْرِى مَا هُوَ. قَالَ: أَيُّ شَجَرِ أَرْضِنَا تُشْبِهُ؟ قَالَ: «**لَيْسَتْ تُشْبِهُ شَيْئًا مِنْ شَجَرِ أَرْضِكَ**». فَقَالَ النَّبِيُّ: «**أَتَيْتَ الشَّامَ**». فَقَالَ: لاَ.

قَالَ: «**تُشْبِهُ شَجَرَةً بِالشَّامِ تُدْعَى الْجَوْزَةَ تَنْبُتُ عَلَى سَاقٍ وَاحِدٍ وَيَنْفَرِشُ أَعْلاَهَا**». قَالَ: مَا عِظَمُ أَصْلِهَا؟ قَالَ: «**لَوِ ارْتَحَلَتْ جَذَعَةٌ مِنْ إِبِلِ أَهْلِكَ مَا أَحَطْتَ بِأَصْلِهَا حَتَّى تَنْكَسِرَ تَرْقُوَتُهَا هَرَمًا**».

قَالَ: فِيهَا عِنَبٌ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**».

قَالَ: فَمَا عِظَمُ العُنْقُودِ؟ قَالَ: «**مَسِيرَةُ شَهْرٍ لِلْغُرَابِ الأَبْقَعِ وَلاَ يَفْتُرُ**» قَالَ: فَمَا عِظَمُ الْحَبَّةِ؟ قَالَ:

---

(١) رواه البخاري (٣٨٨٧) «المناقب».

«**هَلْ ذَبَحَ أَبُوكَ تَيْسًا مِنْ غَنَمِهِ قَطُّ عَظِيمًا؟**». قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «**فَسَلَخَ إِهَابَهُ فَأَعْطَاهُ أُمَّكَ قَالَ: اتَّخِذِي لَنَا مِنْهُ دَلْوًا**». قَالَ: نَعَمْ. قَالَ الأَعْرَابِيُّ: فَإِنَّ تِلْكَ الْحَبَّةَ لَتُشْبِعُنِي وَأَهْلَ بَيْتِي. قَالَ: «نَعَمْ وَعَامَّةَ عَشِيرَتِكَ» (١)، وذكر المفسرون أن من تنوع الفاكهة أيضًا اليابس والرطب كالتين والمشمش فإنه في الدنيا يؤكل جافًا ورطبًا.

وثمار الجنة متوفرة على الدوام غير مقطوعة أو محدودة بمواسم دون أخرى فليس في الجنة صيف ولا شتاء ولكن جوّها معتدل وجميل على الدوام، وليس في ثمار الجنة رديء وجيد فكلها

---

(١) **صحيح لغيره**: رواه أحمد (١٧١٩٠)، والطبراني في «الكبير» (٥٦/١٢) و«الأوسط» (٤٠٨)، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: «إسناده قابل للتحسين»، وصححه الألباني لغيره في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٧٢٩).

لذيذة حلوة، لا عجم فيها ولا نوى ولا بذور، قال ابن عباس: «ثمر الجنة أمثال القلال والدلاء، أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، وألين من الزبد، ليس فيه عجم»[1]، وثمار الجنة دانية قريبة المنال﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة:٢٣].

فأهل الجنة يتناولونها قيامًا وقعودًا ومضطجعين في أي مكان كانوا تدنو منهم وتذلل لهم.

---

(١) «حادي الأرواح» لابن القيم (ص:١٢٦)، والعجم: نوى التمر وما يقوم مقامه في الثمار.

نور الجنة وأوقاتها وجوها العام

ليس في الجنة شمس ولا قمر، ولا حرٌّ ولا برد، ولا صيف ولا شتاء وليس فيها ليل ولا نهار، وإنما هي نور أبدًا، فنورها من نور الرحمن.

قال بعض السلف أنه كالنور الذي يكون في الفجر إلى قبل طلوع الشمس.

كما أنه ليس في الجنة نوم.. فليس هناك حاجة للنوم، فحياتهم راحة وسكينة واطمئنان. ولكن (يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحجب وإغلاق الأبواب ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وفتح

الأبواب)[1].

سئل ابن عباس ﷺ فقال: (يا ابن عباس! ما أرض الجنة؟ قال: مرمرة بيضاء من فضة كأنها مرآه، قلت: فما نورها؟ قال: ما رأيت الساعة التي تكون فيها قبل طلوع الشمس فذلك نورها إلا أنه ليس فيها شمس ولا زمهرير)[2].

وقال ابن تيمية ﷺ: «والجنة ليس فيها شمس ولا قمر، ولا ليل ولا نهار، لكن تعرف البكرة من العشية بنور يظهر من قبل العرش»[3]، فكأنها درجات من نور الله تنير الجنة فيعرفون بها البكرة

---

(١) «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة» للقرطبي (ص:٤٩٥).

(٢) ضعيف: رواه المنذري في «الترغيب والترهيب» (٥٣٠٦)، وضعفه الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (٢٢٠٠).

(٣) «الفتاوى الكبرى» لابن تيمية (٨٣/٥).

والعشية.

وبما أن الجنة ليس فيها حر ولا برد، ولا صيف ولا شتاء، فجوها ربيع دائم ونسيمها عليل أبدًا. إذا هطل فيها المطر عطر أرجاءها، ويسوق لهم السحاب ما يشتهون ويتمنون من ملاذّها وشهواتها.

وقد ثبت في «الصحيح» أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدِ ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللهِ؛ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا. فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ وَاللهِ؛ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا**»[١].

---

(١) رواه مسلم (٢٨٣٣) «الجنة وصفة نعيمها».

قال النووي: «... وخص ريح الجنة بالشمال، لأنها ريح المطر، وكانوا يرجون السحابة الشاميّة، وجاءت في الحديث تسمية هذه الريح المثيرة أي المحرّكة، لأنها تثير في وجوههم ما تثيره من مسك أرض الجنة وغيره من نعيمها»(١).

وعن سعيد بن المسيب أنه لقي أبا هريرة فقال: «أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة، فقال سعيد: أوفيها سوق؟ قال: نعم، أخبرني رسول الله ﷺ...»(٢)، وذكر أنهم تغشاهم سحابة في

(٢) «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٧/١٧٠) ط. دار إحياء التراث.

(١) حديث طويل رواه الترمذي في «السنن» (٧/٢٦٥)، برقم (٢٦٠٥)، وابن ماجه وغيرهم، وقال الترمذي: «غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه»، وروى سويد بن عمرو عن الأوزاعي شيئًا من هذا الحديث، وقال الحافظ: «وعبد الحميد هو: كاتب الأوزاعي، مختلفٌ فيه، وبقية رواة الإسناد ثقات»، وقد رواه ابن أبي



السوق من فوقهم فتمطر عليهم طيبًا لم يجدوا مثل ريحه شيئًا قط.

انظر إلى رياح الخماسين في الدنيا وما تحثوه من أتربة في عيون ووجوه العباد ومن رمال تملأ أرجاء البلاد، فإن ريح الشمال في الجنة تحثو في وجوه أهلها المسك وتطيبهم به وتملأ أرجاء الجنة طيبًا ومسكًا.

الدنيا من طريق حقل بن زياد كاتب الأوزاعي أيضًا واسمه محمد، وقيل: عبد الله، وهو ثقة ثبت احتج به وغيره من الأوزاعي، وذكر مثل هذا التعليق الأرناؤوط في «جامع الأصول» (١٠/٥١١).



المنازل والقصور

وفي الجنة أنواع شتى من البناء والعمران كما أن مواد البناء تتنوع، وشتان بين بناء الدنيا وبناء الآخرة.

ففي الجنة الخيام والغرف والقصور. قصور من لؤلؤ وقصور من ياقوت وقصور من زبرجد وقصور من فضة وقصور من ذهب وفيها من أصناف الجوهر كله، فالجواهر والأحجار الكريمة هي مواد البناء في الجنة. والخيام غير القصور فهي توجد على شواطئ الأنهار، وبين البساتين والأشجار، وفي الصحيح عن النبي ﷺ: «**إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ**

طُولُهَا سِتُّونَ مِيلًا لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُ فَلاَ يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا»[1].

وقال: «**دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا أَنَا بِقَصْرٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ قَالُوا: لِشَابٍّ مِنْ قُرَيْشٍ. فَظَنَنْتُ أَنِّي أَنَا هُوَ، فَقُلْتُ: وَمَنْ هُوَ؟ فَقَالُوا: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ»**[2].

وليس ببعيد على الخالق جل وعلا أن يكون بناء الجنة كله من أصناف الجواهر ففي الدنيا، اكتشف علماء الفلك وجود كوكب من الماس الخالص على مسافة بعيدة جدًا عن الأرض فلا عجب والكون كله من بديع خلقه وجميل صُنعه.

---

(١) رواه مسلم (٢٨٣٧) «الجنة وصفة نعيمها».

(١) رواه البخاري (٧٠٢٤) «التعبير»، واللفظ للترمذي (٣٦٨٨).

ومن أنواع البناء في الجنة الغرف وهي غير القصور والخيام، قال تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ﴾ [الزمر:٢٠]، وجاء في صفة تلك الغرف قوله ﷺ: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يَرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، أَعَدَّهَا الله عَزَّ وَجَلَّ لِمَنْ: أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ**»(١).

ونخرج من ذلك كله أن دور الجنة كلها مبنية من الجواهر والمعادن النفيسة وبعضها ما يكون ذو جدر شفافة يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها فيكون وليّ الله داخلها وكأنه وسط بساتينه

---

(١) صحيح: رواه ابن حبان، كتاب «البر والإحسان»، باب إفشاء السلام وإطعام الطعام (٢٦٢/٢) ورقمه (٥٠٩)، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: «إسناده قوي»، وروى الترمذي وأحمد بنحوه، والبيهقي في «الشعب»، وصححه الألباني في «المشكاة» (١٢٣٢).

وأشجاره من شفافيتها وصفائها .

وللساكن الواحد في الجنة جنتان كما أسلفنا بها العديد في هذه الدور الجميلة، قيل جنة للسكن وجنة للأهل والخدم كما هي حال ملوك الدنيا وقيل جنة لخوفه من ربه، وجنة لتركه شهوته في الدنيا [١] .

وجميع هذه الدور مفروشة ومجهزة بحورها وغلمانها وفرشها، ويستطيع العبد في الجنة اقتناء المزيد من الدور والقصور بالذكر والعمل الصالح في الدنيا فقد ورد عن بعض أهل العلم أمثال الطبري والقرطبي وابن القيم [٢] رحمهم الله أن الجنة تبني بالذكر فإن حبس العبد الذكر كفت

---

(٢) انظر «تفسير القرطبي» سورة «الرحمن».

(١) انظر كتاب «التذكرة» للقرطبي (ص:٤٨٢)، و«الوابل الصيّب» (ص:١٠٩).

الملائكة عن البناء، فيقال لهم: ابنوا؟ فيقولون: حتى تأتينا نفقة. فقد يكثر العبد من الذكر والعمل الصالح حتى يكون له في الجنة أمثال المدن بأكملها ينفذ بصره إليها جميعًا فيرى أولها كما يرى آخرها فيرى نهاية ملكه من مكانه الذي هو فيه فليس بحاجة إلى إقامة أبراج للمراقبة أو مناظير للرؤية، كما ثبت عن الرسول ﷺ أن أهل الجنة لا يبولون ولا يتمخطون ولا يتغوطون فهم ليسوا بحاجة إلى مرافق ومراحيض وشبكات للمجاري وما إلى ذلك من أقذار الدنيا وليسوا بحاجة إلى عمال للنظافة والصيانة فما في الجنة كله رمز النظافة والطهارة والنقاء الخالص الذي لا خبث فيه ولا شائبة.

رائحة الجنة

للجنة رائحة فواحة، توجد من مسافة بعيدة، لا يشمها إلا أصحاب الجنة، فيشمها المؤمن من مسيرة ألف عام، وقيل خمسمائة عام، وقيل مائة عام وقيل أربعين وقيل سبعين، ولا تعارض في هذه الأقوال فيحتمل أن العبد يجد ريحها على حسب أعماله، فكلما كان أكثر صلاحًا وجد ريحها من مسيرة أكثر بعدًا.

«وريح الجنة نوعان، ريح يوجد في الدنيا تشمه الأرواح أحيانًا لا تدركه العباد، وريح تدرك بحاسة الشم للأبدان كما تشم روائح الأزهار وغيرها، وهذا يشترك أهل الجنة في إدراكه في الآخرة من قرب وبعد.

وأما في الدنيا فقد يدركه من شاء الله من أنبيائه ورسله، وهذا الذي وجده أنس بن النضر يجوز

أن يكون من هذا القسم. وأن يكون من الأول. والله أعلم»[1]، يعني بأنس بن النضر حين قال يوم أحد: (واهًا لريح الجنة، إني أجده دون أحد) فقاتل فقتل والحديث في «صحيح مسلم».

---

(١) «حادي الأرواح» لابن القيم الباب الثاني والأربعون (ص:١٦).

الأنهار والعيون

في الجنة بحار عظيمة، وأنهار جارية، وعيون متدفقة ، ففي الحديث: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ: بَحْرَ المَاءِ، وَبَحْرَ العَسَلِ، وَبَحْرَ اللَّبَنِ، وَبَحْرَ الخَمْرِ، ثُمَّ تُشَقَّقُ الأَنْهَارُ بَعْدُ**»(١) .

فأنهار الجنة تنشق من تلك البحار. قال تعالى:﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ﴾ [محمد:١٥].

فماؤها صافٍ ليس فيه كدر، ولا يأسن من طول المكث، ولبن الجنة لم يخرج من بطون الأنعام والماشية، ولا يتغير طعمه أو تنتهي مدته.

---

(١) سبق تخريجه (ص:١٥٢).

وعسل الجنة صاف لا شوائب فيه ولم يخرج من بطون النحل، وخمرها لم تعصرها الرجال بأقدامها, ولا تذهب العقل وتسبب الصداع في الرأس، فهي لذّة للشاربين[(١)] .

وأنهار الجنة تجري في غير أخدود وذلك تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ [الواقعة:٣١]، فهي تجري على أرض الجنة كالزئبق والله أعلم, وتتفجّر أنهار الجنة من أعالي الجنان إلى أسافلها حتى تصل إلى أدنى درجاتها كما في «الصحيح»: «... **فَسلوه الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ، وَأَعْلَى الجَنَّةِ، وفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ**»[(٢)] .

---

(١) انظر تفسير ابن كثير، تفسير الآية (١٥) من سورة «محمد».

(٢) صحيح : وسبق تخريجه (ص:٢٥).

ومن الأنهار التي ذكرت في الصحيح نهر الكوثر، وسيحان، وجيحان، والنيل، والفرات، ونهر بارق، كما ورد عن ابن عباس أن في الجنة نهر يقال: البيدج.

ومن أوصاف تلك الأنهار: أنها تجري على المسك الخالص، وهو طينها وحوافها قباب اللؤلؤ والياقوت، وهي تجري بأمرهم في جوانب الجنة وأرجائها كيف شاؤوا.

أما العيون فعين الكافور، والسلسبيل، والتسنيم[(١)]، وغيرها مما لا يعلمه إلا الله، وهم يفجّرونها بأنفسهم، وفي دورهم وبساتينهم وقصورهم كيفما شاؤوا قال تعالى: ﴿**عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا**﴾ [الإنسان:٦].

(١) انظر المفاضلة بين «المقربين» و«أصحاب اليمين» في الجزء الأول من الكتاب.



فرش الجنة

لكل جنة فرشها الخاص والمفاضلة بين الفرُش بحسب ارتفاع الدرجات. والفرش منتشرة في القصور والحدائق والبساتين والخيام، يجلس عليها أهل الجنة منها الحرير والإستبرق والديباج الموشّى بالذهب والفضة، ومن أنواع الفرش السرر و الزرابي والرفرف والعبقري والأرائك والنمارق.

فالعبقري والزرابي من الفرش الموشاة المطرزة، وهما من أنواع البسُط. كما قيل أن الرفرف من أنواع المفارش التي تكون فوق السرر. أما النمارق فهي الوسائد التي يُتكأ عليها. قال تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية:١٣-١٦].

تخيل أخي المسلم أنك تدخل صالة كبيرة من أفضل صالات الفنادق الفاخرة، ألا تجد الزرابي مبثوثة والأكواب موضوعة والنمارق مصفوفة وقد فاحت رائحة العود في أرجاء المكان. فإذا كان هذا كله من متاع الدنيا الزائل الذي لا مقارنة فيه مع متاع الجنة فكيف تكون صالات الجنة وزرابيّها ونمارقها، ووسائدها، وحريرها، واستبرقها ؟

أما السرر ﴿سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴾ [الغاشية:١٣]، و ﴿سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴾ [الواقعة:١٥] أي مرتفعة متراصّة، قال المفسرون: وموضونة أي منسوجة بقضبان الذهب، مشتبكة بالدر والياقوت والزبرجد. إذا أراد العبد الجلوس عليها تواضعت له حتى يجلس ثم ترتفع إلى ما كانت عليه[(١)].

(١) انظر تفسير القرطبي سورة الواقعة، الآية (١٥).

وقد روي أن ارتفاعها كما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام. وقال بعض أهل العلم أن الفرش في الدرجات وبين الدرجات كما بين السماء والأرض[(١)] .

نستشف من ذلك أن هذه السرر ترتقي بصاحبها إلى حيث أراد حتى منتهى علوّ درجته ,فما بين الدرجة والأخرى كما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام، وقد رأينا في العصر الحديث كيف ترتفع (المصاعد) بالركاب إلى أعلى الطوابق في ناطحات السحاب والأبراج العالية، والله أعلم.

وهذا ما خطر على البال فكيف بما لا يخطر عليه.

---

(١) انظر حاشية حديث الترمذي (٢٥٤٠) في حديث قال عنه: أنه حسن غريب وضعفه الألباني.

لباس أهل الجنة وحليهم

قال تعالى: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ﴾ [الكهف:٣١]، وقال ﷻ: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾، والحرير أفضل وأنعم أنواع القماش على الإطلاق ومنه الرقيق والغليظ وهو أفضل أنواع اللباس وأجمله في الدنيا، فكيف بحرير الجنة؟ فملابس أهل الجنة الحرير من جميع الألوان، وأفضلها اللون الأخضر، ولذلك خُص بالذكر في الآية. أما حليهم فالذهب والفضة وأنواع الدرّ والأحجار الكريمة، يصاغ منها التيجان والأساور والخواتم وغيرها للنساء والرجال أيضًا. وقد ذكر في حديث ضعيف: (أن لله ملكًا يصوغ حلي أهل الجنة من يوم خُلِق إلى أن تقوم الساعة)[١].

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٨/٦٣-٢٩٧٩٧).

أما مصادر ثياب أهل الجنة فمن أشجارها، ومنها شجرة طوبى، وقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «دار المؤمن في الجنة من لؤلؤة فيها أربعون بيتًا في وسطها شجرة تنبت الحلل فيأتيها فيأخذ بأصبعه سبعين حلة ممنطقة باللؤلؤ والمرجان»[(١)].

وقال ابن عباس: (فيها شجرة فيها ثمر كأنه الرمان فإذا أراد ولي الله كسوة انحدرت إليه من غصنها فانفلقت من سبعين حلة ألوانًا بعد ألوان، ثم تنطبق فترجع كما كانت)[(٢)].

---

(١) **ضعيف جدًا**: مصنف ابن أبي شيبة (٨/٧٠-٢٩٨٢٨)، وقال رواه ابن أبي الدنيا موقوفًا وذكر نحوه المنذري في «الترغيب» وضعفه الألباني جدًّا.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا موقوفًا بإسناد حسنه المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/٢٩٢-٥٦٦٤)، وقال الألباني: «ضعيف موقوف».

ولا تحسبن أخي المسلم وأختي المسلمة أن كون المرأة في الجنة تلبس سبعين حلة، أنها ترزح في ملابس ثقيلة تكاد تعيقها عن المشي. قال ابن الجوزي: (حملها أخف عليها من شعرها)[١].

وقيل: أن الحكمة من ارتداء سبعين حلة هو زيادة في المتعة، فبصر زوجها ينفذ إلى طبقات ملابسها فيراها تارة بالأخضر الظاهر وتارة بالأصفر الذي دونه وتارة بالأحمر الذي دونه وهكذا فيراها في الجلسة الواحدة في كل لحظة برداء حتى أنه ليستطيع أن ينفذ ببصره إلى ما دون ذلك فيرى مخ ساقها من وراء العظم وذلك أمتع في النظر وأبهج للنفس، وأذهب للملل، والله أعلم.

---

(١) انظر «بستان الواعظين ورياض السامعين» لابن الجوزي (ص:١٣٥).

طعام أهل الجنة وشرابهم وأوانيهم

عند وصول أهل الجنة الجنة قادمين من وعثاء السفر من دار الدنيا ومرورهم بأهوال القيامة وكآبة المنظر, يكونون في أجساد لا تليق بسكنى تلك الدار العدنيّة، والمنازل العلّيّة فيغتسلون من عين ببابها ويشربون من أخرى فتسري في أبدانهم نضرة النعيم، وعندها يدخلون الجنة عُراة فيُكسون من شجرة طوبى، ثم يضيَّفهم الربّ جل وعلا بقِرى الضيف، كما يضيّف الكريم أضيافه بذبح الذبائح، ونحر الجزور -ولله المثل الأعلى-، فيُنحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها وحوت من الجنة يأكل من زيادة كبده السبعون ألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب. ويُصنع من ذلك اللحم إدامهم وتكون خبزتهم الأرض فقد ورد في «الصحيحين»: «**تَكُونُ الأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**

خُبْزَةً وَاحِدَةً، يَتَكَفَّؤُهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ، كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ، نُزُلًا لأَهْلِ الجَنَّةِ» (١).

فذلك أول طعام يأكلونه، أما طعامهم بعد ذلك وشرابهم فمن أنواع اللحوم والثمار والفاكهة فمن لحوم الجنة الثور والشاة والجمل والحوت وأصناف الطيور ودواب الجنة وطيورها مخلوقة من الجنة رتعت في جوانبها وتربّت على خضرتها وأعشابها فكيف يكون مذاقها بالنظر إلى التي خلقت من تراب وتربت على أعشاب الأرض؟ وكيف تكون أحجامها؟ فقد ورد أن طيور الجنة أمثال الإبل فكيف بثيرانها وجمالها؟

ومن طعامهم أنواع الثمار والفاكهة فمنها الرمان والتمر والرطب وغيره لا يُحصى ﴿**كُلَّمَا**

---

(١) رواه البخاري (٦٥٢٠) «الرقاق»، ومسلم (٢٧٩٢) «صفة القيامة والجنة».

رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ﴾ [البقرة:٢٥].

اختلف المفسرون في تفسير هذه الآية ومن أجمل ما قرأت إنه ليس من المعقول أن يكون شكل فاكهة الجنة كفاكهة الدنيا ففاكهة الآخرة لا نظير لها. وكما أن أهل الدنيا لم يذوقوا جميع فواكه الدنيا حتى يقولوا هذا الذي رزقنا من قبل، بل إن بعض البلاد فيها ما لا يعرف أهلها فاكهة البلاد الأخرى، وليس من المعقول أنهم كلما رأوا الفاكهة تشبه فاكهة الدنيا قالوا: هذا الذي رزقنا من قبل ويستمرون على ذلك أبد الآبدين. إنما المقصود أن أوله في الحسن والطعم مثل آخره. ففي الدنيا نقول دائمًا: (أوقطفة هي ألذ قطفة) ثم تذوق بعض الفاكهة فتقول هذا مالح وهذا مُر وهذا حامض أما فاكهة الجنة فخيار كلّها لا رَذْل فيها. وفسّر طائفة من الصحابة رضوان الله عليهم منهم ابن مسعود وابن عباس قوله: ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ﴾ أنه متشابه في اللون والمرأى فالقطفة الأولى تشبه القطفة الثانية ولكن الطعم يختلف فيطوف عليهم الولدان بالفاكهة ثم يأتونهم بمثلها بعد ذلك فيقولون: هذا الذي جئتمونا به آنفًا

فيقول الخدم كلوا فإن اللون واحد والطعم يختلف[1].

ومن شراب أهل الجنة الخمر واللبن والعسل والماء والزنجبيل والكافور ومنه البارد والحار. وشرابهم في الكؤوس مقدّر بسابق علم الله على قدر رغبتهم فلا يفيض ولا ينقص عن لذّتهم، واقرأ قوله تعالى: ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ [الإنسان:١٦].

وأهل الجنة لا يأكلون عن جوع ولا يشربون عن عطش وإنما غاية أكلهم وشرابهم التلذذ والمتعة.

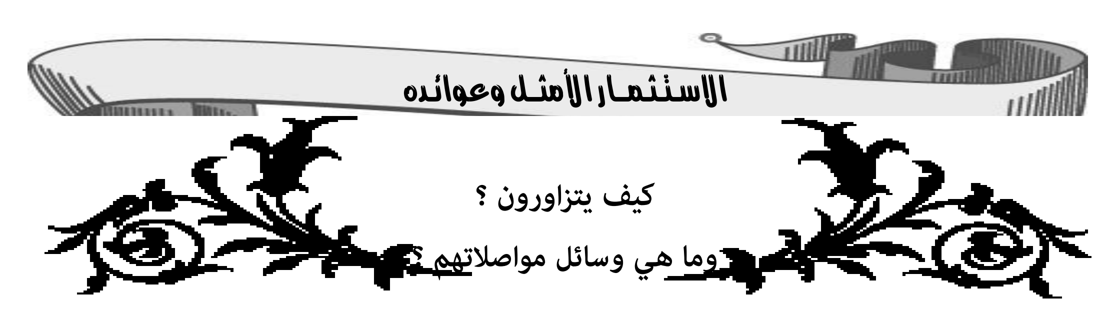
ومن السنن الكونية التي أجراها الله على هذه الدنيا أنه كلما تقدم العمر بالشيء فيها تقادم وذُبل

---

(١) انظر «حادي الأرواح» الباب الخامس والأربعون (ص١٢٣-١٢٦).

وتغيّر للأسوأ، أما الجنة فكلما تقدم العمر بالشيء فيها تجدد حاله للأحسن والأجمل، فالحور والنساء والرجال كل يوم يزدادون جمالًا والفاكهة والثمار تزيد في طعمها لذةً وحسنًا.

ويأكل أهل الجنة ويشربون في أواني من الذهب والفضّة منها الرقيق الشفاف كالكؤوس والأباريق ومنها الصحاف والآنية وما إلى ذلك.



كيف يتزاورون ؟

وما هي وسائل مواصلاتهم ؟

يركبون على النجائب وهي النوق البيض عليها رحال الذهب, ويركبون على الخيل المسرجة من الذهب والفضة. كما ورد أن السُّرر التي يجلسون عليها تتحرك فيقترب سرير الرجل من سرير أخيه فيجتمعان ويتحدثان. وفي الحديث: «**في الجنة شجرة يخرج من أعلاها الحلل ومن أسفلها خيل من ذهب مسرجة ملجمة بالدر والياقوت، لا تروث ولا تبول، لها أجنحة خطوها مدّ بصرها**

فيركبها أهل الجنة فتطير بهم حيث شاؤوا...»[1].

وأهل الجنة يزورون ويُزارون ومن أنواع زيارتهم:

١- **زيارة ربهم:** أفضل زيارة لهم في زيارة ربهم ﷻ فيريهم وجهه الكريم, ويسمعهم كلامه، قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦].

وقد فسر ذلك رسول الله ﷺ بأن الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجهه الكريم[2]. فالمؤمنون يزورون ربهم كل جمعه وهو يوم المزيد ومنهم من يزور الله ﷻ بكرة وعشيّة وهذا أعلاهم منزلة.

---

(١) المنذري، «الترغيب والترهيب» (٤/٣١٧-٥٧٣٥).

(١) انظر «صحيح مسلم» (٣/١٥-٤٠٣-٤٠٤).

٢- **زيارة السوق**: ففي الجنة سوق يذهب أهل الجنة إليها كل جمعة تقدر بمقدار أيام الدنيا. وهي سوق لا بيع فيها ولا شراء، ولكن يأخذ المؤمن منها ما يريد كرامة من الله ﷻ، حتى إن أهل الجنان العليا إذا اجتمعوا هناك مع أهل الجنان السفلى فيرى الرجل صاحبه من الجنة العليا في حلة فيروعه جمالها، فلا يلبث أن يرى على نفسه أحسن منها لأنه لا ينبغي لأحد أن يحزن في الجنة.

وفي السوق يرى المؤمنون ربهم ﷻ كل جمعة. حيث يبرز لهم عرشه، ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة. وجميع أهل الجنة يرون الله ﷻ لا يضامون في رؤيته كما يرون القمر ليلة البدر[١].

(١) انظر «صحيح مسلم» الحديث رقم: (٦٣٣).

٣- **زيــارة بعضهم بعضًـا:** يـزور المؤمنـون بعضـهم بعضـًا، قال تعالـى: ﴿إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الحجر:٤٧]، فيتذاكرون ما كان بينـهم في الدنيا. يزور الأعلى منـهم الأسفل وينظرون إلـى أهل النار من كوى أي فتحـات تطل عليـهم فيحمدون الله أن نجاهم منـها [٢].

(٢) انظر «تفسير ابن كثير» سورة «الصافات» الآيات: (٥٠ – ٥٥).



وماذا يسمعون...(١)

١- يسمع أهل الجنة كلام ربهم جلّ وعلا يحدثهم ويتكلم فيهم، وهو أسمى وأشرف سماع ينصتون إليه.

٢- يسمعون الحور العين يغنين، قال تعالى: ﴿ **فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ** ﴾ [الروم:١٥]، قال بعض المفسرين: الحبرة هو اللذة والسماع. وفي الحديث: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَمُجْتَمَعًا لِلْحُورِ الْعِينِ يُرَفِّعْنَ بِأَصْوَاتٍ لَمْ يَسْمَعِ الْخَلَائِقُ مِثْلَهَا**» يغنين لأزواجهن ويغنين على

---

(١) انظر «حادي الأرواح» الباب السابع والخمسون للاستزادة، وانظر «تفسير القرطبي» سورة «الروم» الآية (١٥)، وما أوردته في هذه الفقرة من أثر لم أجد له توثيقًا في الأصول فذكرته من باب الترغيب الجنة.

شواطئ الأنهار.

٣- سماع ألحان الشجر: يُروى أن رجلًا من قريش قال لابن شهاب هل في الجنة سماع، فإنه حبب إليّ السماع، فقال: أي والذين نفسي بيده إن في الجنة لشجرًا حِملُه اللؤلؤ والزبرجد تحته جوار ناهدات يتغنين بألوانٍ يقلن نحن الناعمات فلا نبأس ونحن الخالدات فلا نموت فإذا سمع ذلك الشجر صفق بعضه بعضًا فأجبن الحواري، فلا ندري أأصوات الحواري أحسن أم أصوات الشجر.

٤- قال الأوزاعي: إن أهل الجنة يسمعون صوت إسرافيل يسبح بصوت ما سمعت الخلائق أحسن منه.

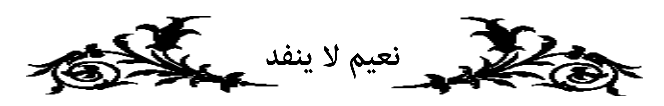
٥- كما قيل أن داود ﷺ ينصب له منبر رفيع في الجنة فيسبح الله عليه بأعذب الأصوات.

٦- يسمع أهل الجنة أصوات الملائكة: فعن مالك بن أنس قال: «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ



أين الذين كانوا ينزهون أسماعهم وأنفسهم عن مجالس اللهو ومزامير الشيطان أسكنوهم رياض المسك، ثم يقول الملائكة اسمعوهم تمجيدي وتحميدي»[(١)].

(١) ضعيف: رواه السيوطي في «الدر المنثور» (٤٨٧/٦)، والديلمي انظر «كنز العمال» (٤٠٦٦٥)، والديلمي عن جابر: ضعيف.



نعيم لا ينفد

هلمّ أخي الكريم... نتفيّأ ظلال هذه الآيات، ونُرسل النظر والفكر خلف تلك الحروف والكلمات القدسيّة لتكشف لنا ما وراءها من كنوز ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [الزخرف:٧١].

قد يمرّ الغني المترف على هذه الآية مرور الكرام، ويظن أن الله قد حقق له ذلك في الدنيا، ولكن لو أنه تمعّن في مرادها لعرف أن شهوته مشوبة بالتنغيص، ولذته ممزوجة بالمرارة، وما تلبث نفسه أن تتشبّع فلا يستطيع التمادي في تحقيق شهواته، فهناك عوائق تحول دون دوام اللذات من هموم ومشاكل وضغوط نفسية ومادية، فليس باستطاعة أحدٍ في الدنيا ولو آتاه الله مال قارون، أن يحقق ما تشتهيه نفسه وتلذّ عينه طوال حياته وإن كان صحيح الجسم معافى. فكل نوع من أنواع النعيم في الدنيا له حدّ نهاية

يسمى حدّ التشبع مما يجعل الاستزادة منه بعد ذلك تعتبر إهدارًا لا فائدة منه، فلو عُرض على فردٍ جائع صنوف الطعام وأطايب الموائد , فإنه وإن ضرب في ذلك الطعام, وأكل منه بلذة وشره ..فسيشعر بالامتلاء والشبع، ولن يستطيع أن يتناول أكثر من ذلك ولو كانت شهوته للطعام مستمرة لما يرى من تنوّع أصنافه واختلاف طعومه، فلن يحقق ما يشتهي إلا لفترة محدودة، وكذلك لو عُرض على محبّ السّفر أجمل بقاع الدنيا وهو عائد للتوّ متعب من وعثاء الطريق فإنه ولو كان يشتهي الذهاب إلى ذلك المكان فإنه لن يستطيع، وكذلك الأمر لمن يشتهي المال فإنه سيبلغ حدًا معينًا للانتفاع به وقضاء شهواته ثم يتحول إلى أرقام لا طائل من ورائها، وكذا النساء وجميع الشهوات، فإن هناك حدًا لا يستطيع بعده الفرد أن يجني فائدة تذكر، بل قد تعود عليه الاستزادة بالخسارة الماديّة والصحية والأخروية(١)، بل

(١) لأن الاستزادة من الملذات وإن كانت مباحة تعرّض الإنسان لطول الحساب فإن الفقراء يسبقون الأغنياء بخمسمائة عام كما في الحديث الذي ذكره الألباني في «صحيح الجامع» (٨٠٧٦)، كما أن الانشغال بالمباحات من

ولن يستطيع الاسترسال في شهوته، فإن الشهوة تجاه الشيء تكون شديدة في بداية الأمر، حتى إذا ذاقه خفت حدة شهوته شيئًا فشيئًا وربما تنقطع بعد ذلك أرأيت إذا ذهبت إلى موائد الأفراح والحفلات، ووجدت مئات الأصناف من الطعام الشهي الذي يسيل له اللعاب، وتلذ لرؤيته العين، فتملأ صحنك من هذا، وهذا، وتنظر إلى ذلك فتشتهيه فتضع في صحنك منه وترى ذلك فيغريك منظره فتضع منه قليلًا حتى إذا امتلأ صحنك وغدا كجبلٍ عظيم وضعته أمامك وحسبت أنك ستأتي على ما جمعت فيه من أطايب الطعام، حتى إذا بدأت في تناوله وجدت عما قليل أن امتلاء جوفك حال دون شهوتك، فتدعه ولم تأت إلا على اليسير منه، ومع ذلك قد تشعر بالامتلاء وتعاني من البطنة مما يؤرق عليك نومك فتتقلب على فراشك تعاني من أضرار شهوتك.

أسباب نقصان درجة المؤمن في الجنة كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «طب القلوب» (ص:٢٨٣)، وأي خسارة أكبر من هذه.

أما في الجنة فإن للفرد فيها ما تشتهيه نفسه وتلذّ عينه على الدوام، فلو قُدّم للمؤمن فيها مائدة عليها صنوف الطعام فإنه يجد لذته في البداية حتى النهاية ولو قُدّمت له صنوف أخرى فإنه يجد لذّتها كما لو أنه لم يأكل ولا يشعر بالامتلاء أو التخمة التي تفسد عليه اللذّة، وكذلك في جميع الشهوات فإنها مستمرّة دائمة لا تنقطع، ومما يزيد في النعيم أنه كلما اشتهى وجد ما يشتهيه وكلما رغب في شيء تحققت رغبته أو تمنى تحققت أمنيته.

فلذّة الدنيا تختلف عن لذة الآخرة من خمسة أوجه:

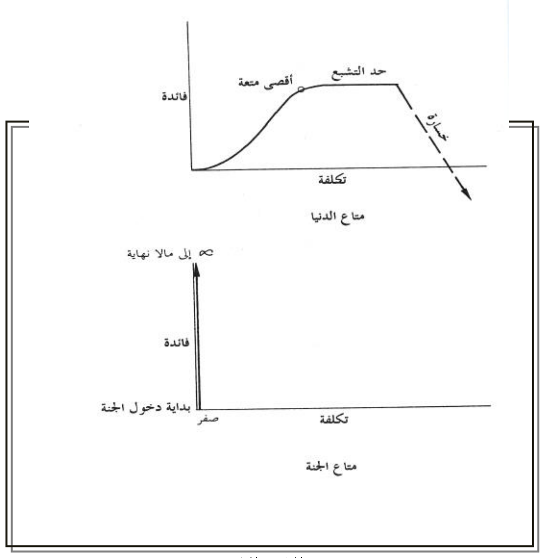
١- الشهوة تجاه المشتهَى مستمرة لا تنقطع بينما هي في الدنيا مقطوعة.

٢- فاعلية الشهوة وقوتها بنفس الدرجة من أول الاستمتاع بالمشتهى إلى نهايته مع إمكانية إعادته وتكراره بينما هي في الدنيا تكون شديدة في بداية الأمر ثم تخفّ حدّتها شيئًا فشيئًا.

٣- كل شهوة في الجنة محققة وممكنة، بخلاف الدنيا (فما كل ما يتمنى المرء يدركه).

٤- ليس لتحقيق لذّات الجنة أي تكلفة أو خسارة أو أضرار من أي نوع، أما في الدنيا فلابد من بذل التكلفة، ولابد من الخسارة إما مادية أو صحية أو غير ذلك بنسب متباينة.

ونستطيع أن نرى التباين بين لذة الدنيا ولذة الآخرة تقريبًا في الشكلين التاليين:



فائدة
أقصى متعة
حد التشبع
خسارة
تكلفة
متاع الدنيا
إلى مالا نهاية ∞
فائدة
بداية دخول الجنة
صفر
تكلفة
متاع الجنة

«اعلم أن لذة الدنيا إنما جعلت لتحقيق النفع بها، فلذة المنكح لاستمرار النسل وصحة البدن ولذة الطعام والشراب لحاجة الجسم وصحته، فإن لم تكن اللذة في المأكل أو المنكح أو غيره، لم يمارسه الإنسان وهذا يهدد حياته ووجوده على الأرض. يقول الإمام ابن الجوزي ﷺ: «هذه الأشياء إنما خلقت إعانة للبدن على قطع مراحل الدنيا، ولم تخلق لنفس الالتذاذ، وإنما جعلت اللذة فيها كالحيلة في إيصال النفع بها»[(١)]. أما لذة الجنة فهي اللذة الحقيقية التي جعلت لذاتها لمجرد الاستمتاع بها بدون أي منغصات، نسأل الله العظيم من فضله. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝٢٢ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين:٢٢-٢٣].

---

(١) «صيد الخاطر» لابن الجوزي فصل (٧٥)، (ص:١٢٧).

إن كلمة نعيم هنا تحمل معنى واسع المدلول، نعيم مطلق لا نهاية له، نعيم متجدد ينعم به المؤمن في الجنة فيجد أثره على كل حاسّة من حواسه جزاءً على حفظها في الدنيا، انظر إلى قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ﴾ [الواقعة:٢٠-٢١]، إن متعة تذوق الطعام اللذيذ متعة من أفضل المتع لذلك تعددت الإشارة إليها في القرآن بأساليب مختلفة، وتعابير مشوّقة، فأي متعة أكثر من أن يتربع الإنسان على مائدة عليها أطايب الطعام والشراب وهو يعلم أنه مهما أكل فلن يؤثر ذلك سلبًا عليه؛ فلن تصيبه تخمه، أو يقعده مرض، أو يثقله وزن.

ونعمة النظر لا تقل متعة وترفًا عن سابقتها فقوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين:٢٣]. توحي للسامع بمدى صفاء أهل الجنة النفسي والجسدي، فلا يشغلهم شاغل يحول دون تمتعهم بالنظر، فلا كد ولا سعي وراء الرزق ولا هموم ولا أنكاد، فهم قوم مرفّهون لا عمل لهم، ولا يحتاجون إلى

عمل، فإن شغَلهم شيء فهو المتاع وإطلاق النظر بلا حدود.

بالأمس في سجن الدنيا كانت لهم حدود وضوابط ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ [النور:٣٠]. مع أن النظر هناك كان مشتملًا على ما يسر وما يسوء، فقد يُرغم الفرد على رؤية القبيح الذميم، ورؤية المآسي التي تقشعر لها الأبدان، أما اليوم فله أن يرسل نظره كيف شاء وأين ذهب ولن يرى إلا ما يسره ويبهجه فليس هناك ما يوجب غض البصر، وقد زاده الله نعيمًا إذ أنفذ بصره إلى جميع أملاكه، يرى أقصاها كما يرى أدناها فليس بحاجة إلى اعتلاء أبراج أو استخدام مناظير، مع أن ملكه يومئذ يفوق حجم الكرة الأرضية بأسرها، فإن أدنى أهل الجنة منزلة له مثل الدنيا وعشرة

أمثالها كما جاء في الصحيح[(١)].

ومن متعة النظر ما ذكر آنفًا في باب لباس أهل الجنة من أن العبد ينظر إلى نسائه في الجنة وينفذ بصره من خلال حللهن السبعين فيرى زوجته تُقبل بحلّة وتدبر بأخرى، حتى ينفذ بصره إلى مخ ساقها من وراء العظم إن شاء، ويظهر هنا ما لنظر المؤمن في الجنة من قدرة عجيبة ترى لملايين الأميال بعدًا، بالجودة ذاتها التي ترى بها الأشياء القريبة.

كما أن له ميزة التحكم في مقدار نفاذ بصره ونسبة إرساله في الصور التي أمامه فسبحان الخالق العظيم. ألا وإن أمتع النظر في الجنة وألذه إلى النفس هو النظر إلى وجهه الكريم.

---

(١) انظر «صحيح مسلم» كتاب الإيمان (١٧٣/١) ورقمه (١٨٦).

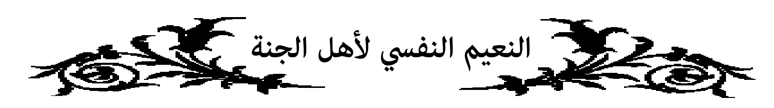
نسأل الله العظيم من فضله....

ونعمة السمع وإمتاع الأذن بما تطرب له القلوب وتبهج له الأسماع من نعم أهل الجنة التي لا تحصى، فلا تخرق آذانهم أصوات مفزعة، أو آهات محزنة، أو صرخات مخيفة مما يخلع القلوب ويُسقم الأبدان بل كلها طرب وحبور واطمئنان وقد ذكر ذلك مفصلًا في باب سماع أهل الجنة.

ولا تسل أخي الكريم عن زهور الجنة الفواحة ونعمة الشمّ، وعن أنهارها الفوارة بعبير المسك والعنبر وشرابها الذي تجد في نهايته رائحة وطعم المسك وفاكهة الجنة التي يشمّها المرء فينعم بعبق ريحها قبل أن يطعمها، وفوق ذلك رياح الجنة التي تهب على سكانها بنسائم عطره محملة بالطيب. حتى أبدانهم تفوح منها روائح المسك فلا عرق منتن، ولا فضلة مؤذية.

ولا تسل عن حاسة اللمس وهي حاسة مرهفة يجد متاعها المؤمن بين نسائه وزوجاته. فمع كثرة

اللقاء في الدنيا تزول دقة هذه الحاسة فلا يكاد يجد لذتها إلا مع كل جديد، ولذلك كان أول أيام النكاح أحلاها، أما نعيم أهل الجنة فمتجدد أبدًا؛ ففي كل يوم يرى المؤمن زوجته أو تراه كأنه يراها وكأنها تراه ليلة العرس فأيام الجنة أعراس متتالية ليس للذّتها حدّ، ولا لانقضائها منتهى. وهناك نعيم آخر سابغٌ عام على البدن بأكمله روحًا وجسدًا ألا وهو النعيم النفسي، فما أعظمه من نعيم، وما أجله من منعم، وما أحكمه وأعدله.



النعيم النفسي لأهل الجنة

لو لم يكن في الجنة من نعيم إلا صفاء المعيشة وخلوها من الأنكاد والأكدار لكفى. والله لو جعلنا الله في صحراء قاحلة وكفانا أقواتنا ووهبنا فيها السعادة النفسية والصفاء الروحي وحمانا من الكوارث والمصائب لكفى بها سعادة، فكيف بك وأنت في رياضٍ وجنان ونعيم لا يخطر على البال والوجدان.

فنعيم الجنة لا يشوبه بؤس ولا حزن، ولا يخالطه تعب ولا نصب ونعيم الجنة لا يشوبه خوف من المستقبل أو ما تخبئه الأيام، ولا يؤرقه قلق على المستوى المعيشي والخوف من الفقر.

وليس في الجنة ملل ولا سآمة، فكل يوم تتغير حياتهم وصورهم وجنانهم إلى أفضل مما كانت عليه.

وليس فيها تحاسد ولا تباغض ولا غش ولا نجش، قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر:٤٧].

وليس فيها الأدواء والأمراض فلا خوف من (فيروس أو مكروب) أو وباء، فهم في صحّة ونشاط دائم لا يسقمون ولا يهرمون، نعيم خالص. . حياة هنيئة. . عيش رغيد . . أبد الآبدين. ويسقط عن أهل الجنة التكليف فلا عبادة في الجنة، إنما يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس (١).

يمتعون فيها أنظارهم برؤية الرحمن جل وعلا، فيُسدل عليهم رحماته ونعمه وهداياه كل يوم.

فأين المستثمرون، أين المستثمرون، إنني أدعوهم ونفسي إلى الاستثمار الأمثل، إلى الربح الأوفر، إلى النعيم الأبدي.

وختامًا أخي الكريم هذه هي عوائد الاستثمار التي سوف تجنيها إنها الجنة التي لن تستطيع أن

---

(١) انظر «صحيح مسلم» (٤/١٩-٢١٨١).

تصل إليها أحلامك ولن تراها خيالاتك ولن تدركها أفكارك لأن جمالها الباهر فوق مستوى التصوّر البشري.

نسأل الله العظيم، رب العرش العظيم، أن يجعلنا ممن وحده فنجا، وأطاعه ففاز، وعبده فأحبه وقربه.

اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفهرس موضوعات «الجزء الأول»

الاستثمار الأمثل وعوائده

تم بحمد الله